الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: 043104558

الحياة الاجتماعية للجزائريين في العهد العثماني

مدينة الجزائر أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تاريخ الجزائر الحديث**

إعداد الطالب:
العياشي فورة

إشراف الأستاذ الدكتور:
عمر بوضربة

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	عبد الله مقلاتي	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	رئيسا
02	عمر بوضربة	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	مشرفا ومقررا
03	قويدر عاشور	أستاذ مساعد-أ-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/ 2018-2019م

مقدمـــة

مقدمة:

تعتبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية للجزائريين قليلة في مختلف العصور والأزمنة، ذلك أن اهتمام المؤرخين (أجانب أو محليين) انحصر على الجوانب السياسية والعسكرية حتى صار ينظر للتاريخ على أنه حروب وثورات ومعاهدات واتفاقيات مع إهمالهم للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وفي هذا الإطار يندرج موضوع بحثنا الذي جاء بعنوان "**الحياة الاجتماعية للجزائريين في العهد العثماني مدينة الجزائر نموذجا**".

إن موضوع الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م من المواضيع البالغة الأهمية، لأنه يعالج مجتمع المدينة وحياتها الاجتماعية خلال مرحلة هامة من مراحل تاريخنا الوطني بحيث شهدت قيام الدولة الجزائرية الحديثة ذات الأسس القوية والمرهوبة الجانب، وتناوبت فيها علاقاتها الدولية بين الصداقة والعداوة واتخاذها عاصمة للإيالة حيث شهدت تنوعا عرقيا، منسجما في تعاملاته، تربطه علاقات حسنة مع حكامه، رغم اختلاف أنشطتهم وثقافاتهم ومعتقداتهم.

كما عرفت المدينة نموا وازدهارا كبيرين خلال الفترة الأولى مما جعلها تسيطر على البحر المتوسط (غنائم وأسرى)، والتي ضعفت خلال الفترة الأخيرة في مختلف المجالات مما جعلها تتعرض للاحتلال الفرنسي.

ترتبط الحياة الاجتماعية بالجوانب الثقافية والاقتصادية، فهي كل مترابط في خدمة الإنسان ومجتمعه من حيث وعيه وأفكاره ونشاطاته التي تعود عليهم بالفائدة

ومن دواعي اختياري للموضوع:

- رغبة ذاتية في تناول الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر على اعتبار أنها مقر إيالة الجزائر وعلاقاتها فيما بينها ومع السلطة الحاكمة.

- كشف اللبس عن جوانب عديدة من بينها: التنوع العرقي في مجتمع المدينة؛ فهل يساهم في خدمة البلد أم خدمة فئة معينة على حساب الأخرى؟
- التنوع العرقي والفكري والاقتصادي؛ هل مثلت ظاهرة الطبقية؟
- الوقوف على الركود الثقافي.
- الوقوف على قيام الاقتصاد الجزائري على القرصنة والجهاد البحري.
- الوقوف على مدى تفاعل المجتمع الجزائري في مختلف المجالات.
- الوقوف على مدى حصانة المدينة والتي تحطمت على صخورها كل المحاولات الأوربية الرامية إلى كسر شوكتها طيلة الثلاثمائة سنة.
- الوقوف على تفاعل المسلمين مع أهل الذمة (يهود ونصارى)، والتي تقوم على حسن المعاملة وتفنيد ادعاءات المسيحيين عن وحشية المسلمين اتجاههم وأنهم مصدر الخوف والاضطراب.

والإشكالية التي حاولت الإجابة عنها من خلال هذه الرسالة تتمثل في:

- ما هي أهم مميزات مجتمع مدينة الجزائر وفعالياته؛ اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا؟

إضافة إلى تساؤلات فرعية:

- ماهي عوامل اتخاذ مدينة الجزائر مقر الإيالة، وما هي مراحل تطور المدينة؟
- كيف وصف الرحالة والجغرافيون هذه المدينة؟ وما هي أهم الفئات الاجتماعية المكونة لمجتمع مدينة الجزائر وعلاقاتها مع السلطة الحاكمة؟
- ما هي مظاهر الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر الدينية والاجتماعية واليومية؟ ما هي أهم النشاطات الاقتصادية الممارسة من طرف سكان المدينة وكيف تفاعل سكان المدينة مع الجوانب الثقافية التعليمية؟

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز هذه الرسالة:

1-المصادر:

- حمدان بن عثمان خوجة وكتابه المرآة وعلى اعتبار أنه من سكان مدينة الجزائر.
- رحلة العالم الألماني ج. أوهابنسترايت إلى الجزائر.
- وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر 1816-1824.
- تيدنا: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر (تيدنا نموذجا).

2-المراجع: أهمها كتابات ناصر الدين سعيدوني.

- الجزائر في التاريخ، ج4.
- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر
- نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي.
- كتابات أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ج2، ج3.
- وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر.

بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل الجامعية.

وقد قسم الموضوع إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

ففي الفصل الأول تناولنا موقع مدينة الجزائر والعوامل التي جعلت منها عاصمة البلاد، ثم عالجنا نبذة تاريخية عن المدينة وأهم الحقب التاريخية التي مرت بها؛ منذ نشأتها إلى غاية انضمامها للدولة العثمانية، ثم وصفها من طرف الرحالة والجغرافيين العرب.

أما الفصل الثاني والذي جاء بعنوان" الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر" فهو لب موضوع الدراسة، حيث عالجنا فيه تمهيدا لتطور سكان المدينة والعوامل المتحكمة فيه. ثم تطرقنا إلى فئات مجتمع مدينة الجزائر وعلاقاتهم بالسلطة الحاكمة، كما عالجنا مظاهر الحياة الاجتماعية لسكان المدينة من خلال الاحتفال بالمناسبات الدينية، الاجتماعية والعادات اليومية.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان "الحياة الاقتصادية والثقافية لسكان مدينة الجزائر". تناولنا في هذا الفصل الحياة الاقتصادية من خلال الحرف والصناعات والتجارة الداخلية والخارجية لسكان المدينة، أما عن الحياة الثقافية لسكان المدينة فكانت في المساجد والزوايا والمدارس والتعليم والمكتبات والأضرحة.

أما المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي الوصفي، حيث وظفنا المنهج التاريخي في نشأة مدينة الجزائر والحقب التاريخية التي مرت بها وفي هجرة الأندلسيين واليهود للبلاد وكذا الأسرى المسيحيين، في حين أن المنهج الوصفي فقد كان هو الغالب من خلال وصف مدينة الجزائر ومظاهر الحياة الاجتماعية والاحتفالات الدينية والاجتماعية والعادات اليومية ووصف المؤسسات الثقافية والتعليمية.

أما الصعوبات التي أعاقتني في إنجاز هذا الموضوع فقد تمثلت في صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، إضافة إلى انشغالاتي الوظيفية نظرا لارتباطي بواجب العمل وصعوبة التنسيق بينهما وواجباتي الأسرية باعتباري مسؤولا عن عائلة.

الفصل الأول

مدينة الجزائر جغرافيا وتاريخيا

المبحث الأول: موقع مدينة الجزائر

المبحث الثاني: نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر

المبحث الثالث: وصف مدينة الجزائر عاصمة إيالة الجزائر

المبحث الأول: موقع مدينة الجزائر

قبل تحديد موقع مدينة الجزائر وجب علينا تحديد مفهوم المدينة وكذا مفهوم الجزائر.

1-مفهوم المدينة:

المدينة هي: لفظ مشتق من فعل مدَنْ أي أقام به.

ومنه المدينة وهي فعلية وتجمع مَدَائِنْ ومُدُنٍ ومُدُنٌ.

المدينة: هي الحصن الذي يبنى في أصطمة الأرض وهي مشتقة من ذلك وكل الأرض التي يبنى بها حصن في أصطمة فهي مدينة، والنسبة إليها مديني والجمع مدائن ومدن.[1]

في حين عرفها الفيروز بادي في قاموس المحيط حيث يشتقها من فعل مدن وجمعها مدائن ومُدُنٌ ومُدْنٌ.

مدن: أتاها والمدينة: الأمة وهي ستة عشر بلدا.

ومدن المدائن تمدينا: أي مصرها، ومدين: قرية شعيب عليه السلام.

والنسبة لمدينة النبي صلى الله عليه وسلم: مدني، والإنسان مديني.

والمدائن: هي مدينة كسرى قرب بغداد؛ سميت كذلك لكبرها.[2]

ويقال أن المدينة من دان إذا أطاع فالميم زائدة لأن السلطان يسكن المدينة فتقام له طاعة فيها.

كما أن المدينة عبارة عن أبيات مجتمعة كثيرة تجاوزت حد القرى كثرة وعمارة ولم تبلغ حد الأمصار.

وبذلك يتضح أن المدينة لها ثلاث معان هي: الإقامة، الحصن، ومكان السلطة.[3]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دون طبعة، دار الحديث، القاهرة، 2003، ص 233–234.

[2] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط، دون طبعة، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1518.

[3] – محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر. المملكة العربية السعودية، 1999، ص293.

2-مفهوم الجزائر:

ذكر أحمد بن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني عن الجزائر قائلا " الجزائر في الأصل جمع جزيرة وهي أرض في البحر ينجزر عنها المد."

الجزر: ضد المد: هو رجوع الماء إلى الخلف.

الجزيرة: أرض ينجزر عنها المد والجزيرة تعني أيضا: أرض في البحر ينفرج عنها ماء البحر.

الجزيرة: واحدة وجمعها جزر وجزائر.

جزائر البحر: سميت كذلك لانقطاعها عن معظم الأرض.[1]

أما عند الفيروزابادي في القاموس المحيط فنجدها مشتقة من:

الجزر: ضد المد، تعني ضرب الماء ونضوبه وينجزر عنها المد كالجزيرة

النسبة: جزيري وهناك جزيرة العرب، والجزيرة الخضراء بالأندلس.[2]

الجزائر الخالدات: ويقال لها (جزائر السعادة) وهي ست جزائر في البحر الأبيض المتوسط من جهة المغرب. جزائر بني مزغناي هي دولة بالمغرب.[3]

وبذلك يتضح أن الجزائر أخذت اسمها من مجموعة جزر وهو ما أشار إليه حسن الوزان (ليون الإفريقي) لمجاورتها لجزر (ميورقة – مينورقة – يابسة).[4]

وقد جانب الصواب في ذلك، فهي فعلا نسبة للجزر لكن ليست للجزر الإسبانية حاليا وإنما للجزر الأربعة التي كانت موجودة أمام مدينة الجزائر حاليا وأهمها جزيرة الصخرة (بنيون) التي بنى عليها الإسبانيون حصنهم.

---

[1] – أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص259.

[2] – ابن منظور، مصدر سابق، ص 117.

[3] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مصدر سابق، ص 265 – 266.

[4] – حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط2. ترجمة محمد حجيو محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي. بيروت 1983، ص37.

أما عن موقع مدينة الجزائر فهي تقع على خط عرض 46,36° شمالا، وخط طول 3,3 إلى الشرق من خط غرينيتش.

تمتد من شاطئ البحر المتوسط شمالا إلى جبل بوزريعة وجبال الأطلس البليدي جنوبا ومن الشرق وادي الحراش إلى وادي مازفران غربا.[1]

إن هذا الإقليم يمتد في شكل طولي ويجمع بين مظاهر طبيعية عديدة (السهل والجبل، البحر والبر). قلما نجدها في إقليم واحد وهو ما أشار إليه العبدري في كتابه الرحلة المغربية حيث قال: "مدينة تستوقف ناظر الناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر، قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر...".[2]

كما تتمتع مدينة الجزائر بمناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل[3] (الدافئ المطر شتاءا والمتوسط الحرارة صيفا) وذات التربة الخصبة والغطاء النباتي الكثيف.

إن لموقع مدينة الجزائر مزايا طبيعية عديدة نذكر منها:

- *أنها بنيت على سفح مطل على البحر في موقع محصن طبيعيا.*
- *اعتمادها على سهل خصب (متيجة) الذي كان مصدرا للثروة الزراعية والحيوانية.*
- *موقعها المتوسط كان له أثر في أن يعد بحق إقليم العواصم.*[4]
- *ارتباطها بما لها من علاقات داخلية وخارجية.*

---

[1] – عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر 1972، ص 33، 34.

[2] – مباركي نادية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان: الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين 16و17م من خلال مرافقها الحضارية، جامعة الجزائر 2005–2006، ص01.

[3] – وليام شاكر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824، دون طبعة، تعريب وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص 28.

[4] – إقليم العواصم: إشارة إلى (شرشال عاصمة في العهد الروماني، أشير في العهد الزيري، الجزائر في العهد العثماني.

المبحث الثاني: نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر

إن قصة مدينة الجزائر لهي إحدى الغرائب في حوليات حضارات البحر الأبيض المتوسط[1]، وذلك راجع لمكانتها الدولية وهيبتها العالمية في الحوض الغربي للبحر المتوسط طيلة القرون الثلاثة (16-19) على الدول الأوربية في حين المعلومات المتعلقة بماضي مدينة الجزائر قبل القرن 10هـ/16م قليلة.

ففي شهر نوفمبر 1940 تم اكتشاف آثار بعد تهدم دور باب الجزيرة، ممثلة في 158 قطعة نقدية معدنية منها 154 من الرصاص و4 من البرونز مكتوب عليها كلمة فينيقية هي" إيكسم " لغة قرطاجة وتعني جزيرة الدجاج[2]، أي دجاج البحر وكان وصولهم لهذه البلاد في القرن الثامن ق. م. وأسسوا بها محطات تجارية تناسب مع نشاطاتهم عبر مختلف سواحل البحر الأبيض المتوسط واستمرت على ذلك إلى غاية احتلالها من طرف الرومان سنة 146 ق.م، وأصبحت مدينة إيكسم تابعة لمملكة موريطانيا القيصرية وحرفوا اسمها من إيكسم إلى إكوسيم.[3]

تضاءلت مكانتها خلال فترة الاحتلال الروماني والذي استمر إلى غاية 429م ولم تفلح مقاومة أهل البلد ممثلة في ثورة فيرموس حوالي سنة 341م إلى أن سقطت تحت هجمات الوندال وتخريبهم لهاو لغيرها من المدن. كما قاد المقاومة القديس أوغستين في عنابة واستمر حكمهم لها إلى غاية 534 م، أين احتل المدينة البيزنطيين ونتيجة لظلمهم وسوء تصرفهم سقط الاحتلال البيزنطي سنة 647م.

---

[1] – وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، دون طبعة، ترجمة عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص7.

[2] – المراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، دون طبعة، تعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1985، ص131.

[3] – نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دون طبعة، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص14-19.

بعد ذلك جاء الفتح العربي الإسلامي سنة 27 هـ /647م حيث أمر عثمان ابن عفان عامله على مصر –عبد الله ابن سعد ابن أبي سرح–بفتح إفريقيا إلا أنه لا يعرف عن استقرار العرب في مدينة الجزائر. حيث كانت شبه خراب كما سكتت المصادر عن الحديث عنها إلا غاية القرن 10م[1]. وهو تاريخ قيام الأمير الصنهاجي بلكين بن زيري بن مناد حوالي 339هـ /950م بأمر من والده عاهل صنهاجة الذي أنشأ مدينة أشير بجبل تيطري[2]. فقام الأمير ببناء مدينة على أنقاض إكوسيم أطلق عليها إثم جزائر بني مزغنة نسبة إلى القبيلة البربرية التي كانت تنزل بجوارها وهي قبيلة بني مزغنة[3]، وهناك اختلاف في تسمية هذه القبيلة حيث ذكرها الإدريسي بني مزغنان[4]، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي جزائر بني مزغناي[5]، والاسم ذاته عند المراكشي جزائر بني مزغناي.[6]

وعند الاصطخري جزيرة بني مزغنا[7]، وعند المقدسي بجزيرة بني زغناية وبني زغناي في موضعين مختلفين[8].وقال أيضا لفظة "مز" معناها "بنو" وعلى الرغم من اختلاف نطقها فمعناها واحد، والأصح جزائر بني مزغنة.

---

[1] – مباركي نادية، الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص4.

[2] – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص40.

[3] – عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 255 "؛ أنظر كذلك كورين شوفالييه، "الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر"، دون طبعة، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص 11.

[4] – أبي الفداء عماد الدين، تقويم البلدان، دون طبعة، دار صادر بيروت، دون تاريخ، ص129.

[5] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني، دون طبعة، دار صادر بيروت، دون تاريخ، ص132.

[6] – المراكشي، المصدر السابق، ص 132.

[7] – الأصطخري، المسالك والممالك، دون طبعة، دون دار النشر، دون مكان نشر، دون تاريخ، ص19.

[8] – علي تابليت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، دون طبعة، منشورات ثالة الجزائر، 2010، ص34. نقلا عن المقدسي في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 228و 246.

بدأت مدينة الجزائر تشتهر منذ ذلك العهد حيث عمل بلكين بن زيري على تعميرها فبنى بها عدة مباني ذات هندسة جميلة وتوسعت المدينة وأعيد لمينائها قيمته البحرية فازدادت بذلك علاقة المدينة بالبرو البحر[1]، وبذلك أصبح لها نوع من الأهمية.

وقد وصفها بعض الجغرافيين والرحالة أمثال عماد الدين إسماعيل أبي الفداء في" تقويم البلدان" ناقلا عن الإدريسي قائلا عنها "جزائر بني مزغنان على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار وهي عامرة أهلة وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة ولها بادية كبيرة...وأهلها قبائل ولهم حرمة مانعة"[2]. كما زارها ابن حوقل في ق04 هـ/10م على عهد زيري ابن مناد سنة 339هـ/950م قائلا عنها:" جزائر بني مزغنان مدينة عليها سور في نحر البحر وفيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها...فيها قبائل من البربر كبيرة وأكثر أموالهم المواشي والبقر والغنم، سائمة في الجبال ولهم من العسل ما يجهز عنهم، والسمن والتين تجهز إلى القيروان".[3]

عرفت مدينة الجزائر بعد ذلك عدة أحداث وتطورات والتي مرت بها منطقة المغرب الأوسط، فقد خضعت لحكم عدة إمارات إسلامية فبعد مملكة بني زيري خضعت لإمارة بني حماد مابين 408هـ-552هـ/1018-1152م، حيث استقلت بالجهة الغربية لمملكة بني زيري ثم دخلت إلى حظيرة الدولة المرابطية والتي عمرت ما بين 430-541هـ/1038م-1147م[4]، وحظيت في ظلها بنوع من الاهتمام بفضل مينائها الطبيعي.

كما أسس فيها يوسف بن تاشفين في نهاية القرن 5هـ/11م الجامع الكبير[5]. في حين نجد في مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية الموسوم بمساجد مدينة الجزائر وزواياها

---

[1] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 108.

[2] – عماد الدين (أبي الفداء)، مصدر سابق، ص 125.

[3] – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 23. نقلا عن ابن حوقل

[4] – عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص62.

[5] – مباركي نادية، مرجع سابق، ص5.

وأضرحتها أن المسجد الجامع الكبير بني على عهد أبو تاشفين ما بين 17 ذي القعدة 722هو رجب 723هـ إذ يعتبر تحفة فنية في الفن المعماري.[1]

وبعد ذلك دخلت المدينة تحت لواء الدولة الموحدية سنة 581هـ/ 1185م في عهد عبد المؤمن بن عليو واصلت تطورها ونعمت بالرفاهة والازدهار الاقتصادي وكثر عمرانها لكنها سرعان ما تعرضت إلى التخريب في ق6هـ/ 12م من جراء ثورة بني غانية[2] ضد الحكم الموحدي وتخريب أكثر من ثلاثين مدينة من بينها مدينة الجزائر.[3]

لما مالت الدولة الموحدية إلى الضعف أصبحت مدينة جزائر بني مزغنة في مدو جزر بين الدويلات التي نشأت على أنقاضها وهي الدولة الحفصية نسبة إلى أبو حفص عمر بن يحيى...وينتهي نسبهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه. كان ذلك في 621هـ/ 1224مو التي عمرت في المغرب الأدنى. والدولة الزيانية وتسمى كذلك بني عبد الواد نسبة إلى زيان بن ثابتو ينتهي نسبهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك في 627هـ/1235-1236م إلى غاية1554م والدولة المرينية نسبة لمرين بن أمير الناسو ذلك في 653هـ/1256م. [4]

فتارة تخضع لهذه وتارة للأخرى وأحيانا أخرى كانت تنجح في الاستقلال بشؤونها كما حدث سنة 664هـ/1265م، حيث شكل فيها سكان المدينة إمارة صغيرة مستقلة هي إمارة ملكيش، ولكنها عادت للخضوع إلى حكم الحفصيين عام 676هـ/1277م. واستقلت مرة أخرى تحت إمرة ابن علان وهو من مشيخة الجزائر حيث استبد بحكم المدينة وبقيت المدينة

---

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس، دون طبعة، دار الأمة الجزائر 2010، ص50.

[2] – بني غانية، بنت عم يوسف بن تاشفين وزوجها علي بن يحيى المسوفي من صنهاجة أنجبا يحيى ومحمد، وابن محمد يحيى كان علي قابس. حيث دوخ المغرب الأقصى وإفريقية وخرب تاهرت. أنظر إلى ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر ق.19، دون طبعة، ج1، تحقيق يحيى بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص137.

[3] – عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 226.

[4] – بن عودة المزاري، نفس المصدر، ص 150.

في انتفاضها إلى أن تملكها بنو عبد الواد[1] (الزيانية) مابين 712هـ-713هـ /1359م. وخضعت للدولة المرينية بعض الوقت. لتعود إلى فلك الدولة الزيانية، ونتيجة لضعف هذه الأخيرة ظهرت إمارة الثعالبة بمدينة جزائر بني مزغنة بعد مقتل السلطان الزياني أبي زيان محمد إلى غاية 1519م[2]، أين تم جعل المغرب الأوسطولاية عثمانية لكن قبل ذلك، ماهي الظروف التي أحاطت بالغرب الأوسط حتى جعلته ولاية عثمانية؟

- التجزؤ والتفكك الداخلي لدولتي بني زيان وبني حفص فمدينة الجزائر كانت تابعة لمملكة بني زيان لكنها استسلمت لملك بجاية الحفصي لقربها من مملكته ولعدم قدرة ملك تلمسان الزياني على إنجادهم فبايع وهو أدوا له الخراج.[3]
- استكمال الإسبان لما يسمى بحركة الاسترداد المسيحي في الأندلس وملاحقة المسلمين في المغرب الإسلامي وتحقيق أهدافهم الدينية والحربية والسياسية والاقتصادية.[4]
- الخوف من مصير مماثل لمدن قد تعرضت للاحتلال الإسباني كالمرسى الكبير 1505م، وهران 1509م، بجاية 1510م، عنابة، جيجل، تنس، شرشال ومستغانم ما بين 1510و 1511 م.[5]
- عدم توفر مدينة الجزائر على السلاح والجيش لمقاومة غزو الإسبان المحتمل.

---

[1] – مباركي نادية، مرجع سابق، ص6، نقلا عن ابن خلدون، ديوان العبر، ج6، ص 717.

[2] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 260.

[3] – صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ط2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 10.

[4] – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 71 – 79.

[5] – أحمد توفيق المدني، " تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530-1554" مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975، ص 39-40.

نتيجة للظروف السابقة الذكر، توجه وفد مدينة الجزائر يرأسه الشيخ سالم تومي[1] للاجتماع بقائد الحملة الإسبانية على بجاية" بيدرو نافارو" وإعلان ولائهم للإسبان ورغبة في الأمن والسلام فأشار عليهم بيدرو نافارو بإرسال وفد إلى إسبانيا لإعلان وفائهم لملكها وهو ما تم فعلا حيث توجه الوفد برئاسة شيخها سالم تومي واتصلوا بالملك فرديناند الثاني واتفق الطرفان على أن يسلم الجزائريون أكبر جزرهم الصخرية للإسبان لإقامة عليها قلعة تحرس سفنهم التجارية وتجعل مدينة الجزائر تحت مراقبتها. وتم عقد الصلح لمدة 10سنواتو اعترافهم بسلطانها ومساعدة القوات الإسبانية في البحر ودفع جزية سنوية لحاكم بجاية.

وبمجرد توقيع الاتفاق قام الإسبان ببناء القلعة في الجزيرة المحاذية لمدينة الجزائر و Penon[2] التي صارت تعرف بصخرة الجزائر أو قلعة الجزائر (البينون) ونصبت بها المدافع الموجهة أفواهها إلى المدينة والتي كانت تبعد عنها ب 300مو بذلك فقد دفعت مدينة الجزائر عن نفسها شر العدوان والغزو وأصبحت راضخة للإسبان تعيش تحت رحمة مدافعها وتتحمل الضيق والمذلة إلى حين[3]. وكثيرا ما تم القذف بمدافعها على المؤذنين وهم يرفعون أصواتهم" حي على الصلاة، حي على الفلاح" وكذلك على ميناء الجزائر.

يقول خير الدين بربروس في مذكراته:" اقترحت على قائد القلعة الإسباني دون مارتين فيرقاس تسليم القلعة والانسحاب منها دون أن يصابوا بأذى فرفض، وعند ذلك شرعت في

[1] – سالم تومي: شيخ قبيلة الثعالبة العربية وأميرها، عارض الاستعانة بالأتراك، أعدمه عروج بسبب دوره في إثارة القبائل ضدهم وتواطئه مع الإسبان.

[2] – محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512–1543، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015، ص107 – 108. انظر كذلك حسن الوزان، مصدر سابق، ص 38.

[3] – أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 116.

قصف القلعة مدة 20 يوما إلى أن تمكنت من اقتحامها وبعد معركة كبيرة أعلن قائدها دون مارتين مع سبعمائة من رجاله الاستسلام".[1]

كما يذكر مؤلف تاريخ ملوك الجزائر على قتل عروج لسليم تومي من أجل أن يتخلص منه[2]، إلا أن سبب قتل عروج لسالم تومي كان لمعارضته قدومهم (العثمانيين) للجزائر، وسعيه للاتصال بالإسبان لأجل طردهم منها. كما بايعه جنده أميرا على مدينة الجزائر، وقام عروج بصد حملة إسبانية على مدينة الجزائر في 922هـ/1516مو التي ضمت 30000 رجلا متحالفين مع الإسبان وتحت قيادة يحيى بن سالم تومي من أجل الانتقام لمقتل والده إلا أنها فشلت فشلا ذريعا، وأدخلت الفرح والسرور لدى سكان مدينة الجزائر مما دفع سكان بليدة، مليانة، دلس والمدية إلى مبايعة عروج وتوسع نفوذه إلى متيجة والمدية.[3]

وبعد ذلك راح عروج يسعى لتوسيع نفوذه غربا نحو تنس ومستغانم وقلعة بني راشد واصلا إلى تلمسان إلا أن الإسبان تمكنوا منه بالتحالف مع السلطان الزياني أبي حمو الثالث في ماي 1518م، حيث خرج من المدينة في ليلة مظلمة مع رجاله وقتل فيها عروج ورجاله 300 رجل وهم يقاتلون كالأسود الشجاعة[4] في معركة غير متكافئة في جبل بني يزناس شرق المغرب.[5]

---

[1] – المرادي، مذكرات خير الدين ببروس، ترجمة محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 135. انظر كذلك: فراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، دون طبعة، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2013، ص 27.

[2] – فراي ديغو هايدو، نفس المصدر، ص28.

[3] – مباركي نادية، مرجع سابق، ص 10. انظر كذلك: فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 32. حيث يبرر الهزيمة بالعاصفة التي رمت بالأسطول إلى السواحل وتحطم أغلبيتها.

[4] – فراي ديغو هايدو، نفس المصدر، ص 41.

[5] – محمد دراج، مرجع سابق، الدخول العثماني إلى الجزائر، ص 51.

أما أخوه خير الدين الذي خلفه وتزعم حركة الجهاد ضد الإسبان والمتآمرين معهم، فتمكن من مواجهة حملة قادها هوقو دي مونكاد وذلك في عام 1519 على مدينة الجزائر[1] بمساعدة أهلها وغنم أسلحة وأموال وتكبد الإسبان 4000 قتيلو 3000 أسيرو تحطيم 26 سفينة من سفن الأسطول.

وعقب ذلك، قرر خير الدين مغادرة مدينة الجزائر لأجل الغزو ومواصلة الجهاد فجمع أعيان المدينة من العلماء والصلحاء والتجار وأعلن لهم عن قراره، حيث قال: "إني عزمت على السفر إلى إسطنبول مستمدا منها أسطولا للجهاد...وقد أمنت بلادكم لما أخلفه عندكم من السلاح...ما تقومون به بأمر الجهاد...فاختاروا واحدا منكم يكون من خياركم تقدمونه أميرا عليكم".

فكان رد العلماء وأعيانها: " أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والدفاع عن ضعفاء أهلها ولا رخصة في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو".

فعند ذلك قال لهم خير الدين: " رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين...وقد ظهر لي من الرأي أن نصل يدنا بيد مولانا السلطان سليم فيمدنا بالأموال والرجال وآلة الجهاد ولا يكون ذلك إلا بصرف الخطبة إليه وضرب السكة عليه".[2]

وهكذا دخلت الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية وأصبحت من ولاياتها وكسبت الحماية ضد الأخطار المتربصة بها خاصة الأطماع الإسبانية وذلك من خلال إرسال السلطان العثماني لـ 2000 من الجنود الإنكشارية وعدد معتبر من المدافع والذخائر الحربية

---

[1] – يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دولو ممالك أوربا 1500–1830، دون طبعة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص17. انظر كذلك: محمد دراج، مرجع سابق، ص 154.

[2] – عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، المجلة التاريخية المغاربية، عدد جويلية 1976، ص 116–120، انظر كذلك: محمد دراج، المرجع السابق، 207–209. انظر كذلك: سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671–1830. رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، مؤتمر، 2011–2012، ص 24–25.

و4000 من المتطوعين لهم نفس الامتيازات مع الجنود الإنكشارية، بالإضافة إلى مرسوم أو فرمان تعيينه بايلرباي على الجزائر والسيف والخلعة السلطانية والسنجق (الراية).[1]

إن الفضل في اتخاذ مدينة الجزائر عاصمة للمغرب الأوسط يعود للإخوة عروج وخير الدين حيث أطلقا عليهم اسم الجزائر ووضع فيها خير الدين حامية بعد طرد الإسبان وإقامة جهاز حكم في مدينة الجزائر، وبذلك جعلها تدريجيا عاصمة للنشاط العثماني في الحوض الغربي للمتوسط، كما جعلها موقعها منطلقا لتحرير تلمسان من أيدي الزيانيين وقسنطينة من أيدي الحفصيين ،و جعلها أيضا منطلقا للاستيلاء على تونس ومحاولة الاستيلاء على فاسو لم يحن نصف القرن 16م حتى أصبحت كل الجزائر ما عدا وهران ومرساها في يد العثمانيين، ومن مدينة الجزائر ينطلق للهجوم على أوربا حتى أصبحت مدينة الجزائر مركز الرعب وسموها جلادة المسيحية وعش القرصنة أما عند المسلمين فهي المحمية والمحروسة والبيضاء والمجاهدة.[2]

وما هو ملاحظ أن لكل تسمية من هذه التسميات مدلولها ومعانيها. فتسميات الأوربيين لمدينة الجزائر تعود لما تمارسه عليهم من ضغوطات في الحوض الغربي المتوسط واعتبارها مركز ممارسة القرصنة على الرغم من أن كل دول أوربا كانت تمارس هذه القرصنة، أما تسميات المسلمين بالمحمية والمحروسة نظرا لصدها لحملات كبيرة جدا ودور العواصف والقدرة الإلهية في صدها. أما البيضاء، فلأن مساكن الجزائريين كانت تجير كل سنة، والمجاهدة نظرا لصدها حملات عسكرية مسيحية وتحريرها لسواحل تونس وليبيا والمغرب الأقصى وإرسال أسطولها دعما للدولة العثمانية في حروبها ضد القوى المسيحية.

[1] – محمد دراج، مرجع سابق، ص 209.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 169–170.

المبحث الثالث: وصف مدينة الجزائر عاصمة إيالة الجزائر

لقد كان لقدوم الأتراك أثر هام في بلورة شخصية مدينة الجزائر حيث تعتبر الفترة العثمانية ملازمة لازدهار التجارة والعمران.

فمن المعروف أن اختيار موقع مدينة الجزائر كان على يد بلكين بن زيري نهاية القرن 6هـ/10م وأن الازدهار الحقيقي للمدينة لم يبدأ إلا بعد القرن 12هـ/16م بعدما تم طرد الإسبان على يد الأتراك سنة 1929مو هو تاريخ البناء البحري الأول لميناء الجزائر إذ حول المرسى الطبيعي إلى ميناء "jettèe حقيقي بعدما قام خير الدين بربط صخرة البنيون بالمدينة بواسطة رصيف وبناء حاجز على طول امتداد الجزيرة من أجل حماية السفن في حالة رداءة الطقس.

تم إنجاز القسم الأول من الميناء وهي عبارة عن منشأة من الكتل الصخرية الطبيعية والتي تشكل جزء من الحاجزة الحالية المعروفة باسم صاحبها[1] (ذلك بعد تحطيم حصن الصخرة أو البنيون واستخدام حجارتها في بناء الرصيف)[2] في مدة ثلاث سنوات. ومن إيجابيات الرصيف البحري أنه يحمي حوض مركز القيادة.

يرى شارل أندري جوليان أنه بانضمام الجزائر للدولة العثمانية اضطرت للتسليح للقيام بالهجومات والتحصن لمواجهة ردود فعل الأساطيل المعادية فكانت دار صناعة ومرسى يلجأ إليه واعتبرت قاعدة حربية منذ عهد البيلربايات.[3]

---

[1] – مفتاح سعيدة، استغلال المجال الجغرافي لمدينة الجزائر في العهد العثماني 1516–1830، مجلة دون طبعة، دون تاريخ، ص6.

[2] – ذكر خير الدين في مذكراته أنه قام بتلغيم الصخرة وتفجيرها وجمع ثلاثين ألف أسير كانوا في السجون لجمع صخور القلعة لبناء كاسر أمواج يربط بين القلعة والمدينة. انظر كذلك: مذكرات خير الدين بربروس، ص 136.

[3] – شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ط2، ج2، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص336.

ما يفهم من قوله أن الجزائر كانت دولة عدائية مع سائر الدول تشن الغارات ثم تتحصن بمرساها ونسي أن الإسبان كانوا قد أغاروا على سواحلها منذ 1505 م واحتلوا معظمها.

إن قيام الجزائر بالجهاد البحري دفع بالعثمانيين إلى الاهتمام بتحصين المدينة وتوسيعها نحو مرتفعات الجبل تماشيا مع طبيعة التطور العمراني الدفاعي الذي اعتمده العثمانيون وبدأ فيه عروج بتوسيع المدينة منذ 1519م بأموال جمعها من تلمسان واستمر في بناء القصبة العليا حتى 1590م.[1]

اتخذت المدينة شكل مثلث قمته القصبة العليا ثم كانت تنحدر رويدا نحو البحر الذي كان يشكل قاعدته[2]، أقيم على مساحة 45100 هكتار، مما جعلها تحتل موضعا محميا يتلاءم مع دورها كعاصمة للإقليم.[3]

كما يحيط بالمدينة أسوار شاهقة ذكرها شارل أندري جوليان نقلا عن هايدو قائلا: "بلغ ارتفاع أسوارها من 11 إلى 13مو طولها حوالي 2500م، بنيت بملاط قويو مقامة على قاعدة من باطون" Béton".[4] وعرضها متران 2م، تتخللها 10 أبراج مربعة الشكل من بينها 04 تأوي أربعة مدافع[5]. ومن أهم هذه الأبراج:

- برج تامنفوست: بني 1675 عند نهاية السور الشرقية في الرأس الصخري مقابل لمدينة الجزائر لحمايتها من الجهات الشرقية.
- برج وادي الخميس: غرب البرج السابق يقع عند مصب وادي الخميس.
- برج السفيد: بني بالحامة عام 1661.

---

[1] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، 221، أنظر كذلك، شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 36.

[2] – عزيز سامح آلتر، مرجع سابق، ص 225، أنظر كذلك: مفتاح سعيدة، مرجع سابق، ص7.

[3] – مفتاح سعيدة، نفس المرجع، ص7.

[4] – شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 336. أنظر كذلك: حسن الوزان، مصدر سابق، ص37.

[5] – جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1830، دون طبعة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص 128.

- الأبراج الستة على الجزر الأربعة: تعرف من الشرق إلى الغرب بـ "برج القومان.
- برج السردين – برج ما بين – البرج الجديد – برج راس اعمر – برج راس أحمد ".
- برج بيسكاد (الإنجليز) بناه الداي علي آغا 1665 – 1670 قرب شاطئ بلكين.[1]

ومما يزيد في شدة تحصين المدينة أنها كانت تحيط بها 907 فتحة للرمي وتطل منها 658 فوهة لمدافع مختلفة العيارات، وجهت 529 فوهة مدفع نحو البحر وموزعة على الأبراج الشاطئية خاصة أبراج الجزر الأربعة وبالميناء الذي بناه خير الدين بربروس.[2]

كما كان يوجد في الجانب الخارجي للسور خندق عميقو عريض يبلغ عرضه ما بين 11.5و 14.5م وعمقه ما بين 06و 08م، بناها حسن آغا سنة 941 هـ، يصعب عبورها، تتخلله جسور مدحرجة يمكن رفعها[3] بهدف عرقلة تقدم العدو ودخوله لها بسهولة.

كما وضعت بطاريات مدافع على أسوار المدينة أهمها حول الباب الجديد وسيدي رمضان بحيث أقيمت بالقرب منها حصون عديدة تعزز دفاعها مثل حصن القصبة في أعلى المدينة تحتل مساحة 900م وبنيت 1516و 1698 بمثابة مجمع عسكري مزود بـ 88 مدفعا.

- حصن الإمبراطور (السلطان قلاسي) مولاي حسن.
- برج القلعة (طاغرة) في الجهة الغربية خارج باب الجديد.[4]

وما يؤكد ذلك ما ذكره أحمد بن سحنون الراشدي: " أن الأتراك حصنوها أتم تحصين وأحاط بها من جميع الأسوار المنيعة والأبراج الهائلة وأناطوا بها المدافع الضخمة في كل

---

[1] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 243.

[2] – علي عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص 247. انظر كذلك: شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 336.

[3] – علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 231.

[4] – علي تابليت، مرجع سابق، ص 50.

مشرفو مرقب فهي لا تنال، وجعلها الله شجى في حلوق النصارى وردهم في كل مرة مقهورين مذلولين".[1]

كان يتم الدخول إلى المدينة عن طريق خمسة أبواب، هي:

- باب الواد غربا نسبة إلى الوادي الذي كان يمر بجانبه وتنفتح نحو الشمال الغربي نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة ويربط المدينة بالخارج والمقبرة[2] وهي أقل الأبواب أهمية.
- باب عزون: يعتبر أهم أبواب المدينة، يدخل منه القادمون من الجنوب والشرق ومن السهل.

وأهم طريق تربط المدينة بشرق البلاد كان له جسر يرفع أثناء الخطر.

- باب الجزيرة (الجهاد)[3]، يدخل منه القراصنة للجهاد في البحر[4]، مفتوح على مكسر الأمواج الكبير يقع في اتجاه الشرق[5] ويتم فيه تنزيل البضائع وتسجيلها قبل أن تدخل المدينة وهي البضائع التي يجلبها التجار المسيحيين والصادرة من الميناء لذا فقد كان يشهد حركة مستمرة.[6]

---

[1] – أحمد ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 259–260.

[2] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 232. انظر كذلك: أ.ليسورر–و. ويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، دون طبعة، تحقيق وتقديم وتعليق، محمد جيجلي، دار الأمة، الجزائر 2002، اللوحة 6، حيث ذكر أنها تشرف على ساحة مخصصة للعرض العسكري وعلى حصون كانت مخصصة لصهر حديد المدافع ويوجد ضريح مرابطو عين جميلة ومأذنة مسجد مخصص للنساء.

[3] – مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصيات الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط2، ج1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 147.

[4] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 233.

[5] – محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دون طبعة، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص26.

[6] – أ.ليسور–و. ويلد، مرجع سابق، اللوحة 3.

- باب السردين (الديوانة) يتجه إليه القادمون من الميناء[1]، مخصصة للتجارة البحرية يدخل منها الصيد البحري (السردين)[2]، ويتجه إليه القادمون من الميناء[3]، مخصص للذهاب لصيد السمك في البحر أو الذهاب منه لبيعة في المدينة. ويؤدي كذلك لدار الصناعة لبناء السفن الشراعية الصغيرة ويقع في الشمال الشرقي.
- باب الجديد، يقع في اتجاه الجنوب الغربي[4]. يدخل منه القادمون من الغرب والبليدة ويربطها بالطريق الرئيسي لغرب البلاد وهو سبيل وعر (المرتفعات)، ويشهد حركة كبيرة من طرف السكان.

هذه الأبواب كانت كبيرة الحجم، متقنة الصنع، تغلق قبل غروب الشمس بقليل وتفتح بعد طلوع الشمس بقليل ويكثر بها الحراس للمراقبة وتحاذيها القلاع والثكنات.

كما توجد أبواب ثانوية داخل المدينة مثل البابين الداخليين في السور بالقصبة العليا بحيث تفصل بين القصبة وباقي المدينة.[5]

وكانت المدينة في الداخل تتفرع إلى شبكة من الأنهج والأزقة النافذة وغير النافذة (مائة وثمانون شارعا)[6]، بحيث كان لها أسمائها حسب ما يوجد فيها فإذا كانت فيها حرفة معينة سمي النهج بالسوق، وإذا كانت فيها رحى سمي بالفرن كفرن الجمال وإذا كان فرن للخبز فهو كوشة، وإذا كان باب سمي به كباب جديدو باب الواد...وإذا كان بجانبها مدرسة للصغار سميت بالمسيد كنهج مسيد الدالية وسموا أيضا بالصور فقالوا صور سيارة وسموا بالعين كعين المزوقة...إلخ.[7]

---

[1] – شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 336.

[2] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 234.

[3] – شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 236.

[4] – محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص 26.

[5] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 235.

[6] – مفتاح سعيدة، مرجع سابق، ص 8. انظر كذلك: علي تابليت، مرجع سابق، ص 141 – 143.

[7] – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص140.

في حين نجد علي عبد القادر حليمي قد قسم الأحياء حسب ساكنيها ففي حي البحرية نجد به الطبقة الأرستقراطية من الأتراك والمصالح التجارية البحرية، وفي حي باب الواد تركزت اليهود التجار وحي باب عزون للأجانب والأهالي من التجار وحي القصبة القديمة للأتراك، وحي القصبة الجديدة للعرب.[1]

وأهم هذه الأنهج تلك التي تربط بين الأبواب الرئيسية للمدينة مثل: نهج باب عزون المتصل بنهج باب الواد، والذي كان يسمى بالنهج الكبير أو نهج السوق حيث توجد به الدكاكين على طول النهج[2] ويقع في الجهة السفلى من المدينة.

أما أ.ليسورو.ويلد فقال: "أن الجزء الأسفل من المدينة تخترقه ثلاثة أنهج أساسية هي:

- نهج البحرية المؤدي إلى حاجز الأمواج المؤدي إلى البضائع الصادرة من المدينة.
- نهج باب الواد: المنطلق من باب الواد إلى الساحة الكبيرة بنهج البحرية.
- نهج باب عزونو الذي تشرف عليه مؤذنة فائقة الرشاقة[3] وصوت المؤذن أفضل من دقات جرس الكنائس. توجد به السوق الكبيرة وأسواق أخرى كسوق الخراطين والسمارين (للحيوانات)، ويقع السوق الأسبوعي في شارع سوق الجمعة وتطل دار السلطان على وسط شارع الأسواق، مما يدل على كثرة الشوارع وأهميتها.

ومن مميزات هذه الأزقة والشوارع:

- أنها كانت ضيقة إلى درجة أنه لا يمكن أن يمر رجلان متجاوران في مستوى واحد.[4]
- تعلوها في الغالب سقوف من الخشب مشكلة ما يعرف بالسباط (زقاق مغطى).
- من إيجابيات الزقاق المغطى (السباط):

---

[1] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 225.

[2] – كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 13.

[3] – أ.ليسورو.ويلد، مرجع سابق، لوحة 3-4.

[4] – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص133.

- تلطيف الجو صيفا بحيث تحتفظ طوال اليوم ببرودة الصباح الباكر.
- الاستغلال الأمثل لكل المساحات المتوفرة للسكن.

كانت تتوزع عبر هذه الأنهج منشآت ومباني ومعالم حضارية متنوعة حيث تضم المدينة العديد من الإقامات الرسمية والقصور المنتشرة داخل المدينة (الدار) بدل (القصر)، أهمها دار الأميرة عزيزة. ودار حسن باشا (قصر الشتاء) ودار الوصيفة العلجية (دار قسوم) – ودار خوجة الخيل –دار الصوف ودار صالح رايس–دار خداوج العمياء... .[1]

أما عن دور الانتشار الإنكشاري فنجد:

– دار المقرئين (المقريين، مقارون)

– دار باب عزون.

– دار أوسطى موسى.

– دار باب عزون.

– دار القديمة.

– دار الجديدة.[2]

إن المنظر الحضاري لمدينة الجزائر نجده يضم أماكن العبادة المنتشرة بأحيائها قبل 1830م في 176 مكان مخصص للعبادة من مسجد وزاوية[3]...وتضم العديد من المدارس والكتاتيب والزوايا والأضرحة منها 32 ضريح ومزارا داخل المدينة أهمها ضريح ولي المدينة سيدي أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي. ولد عام 786–787 هـ/1387م وتوفي سنة 875هـ/

[1] – علي تابليت، مرجع سابق، ص 56. انظر كذلك: نفس المؤلف، ص 159.

[2] – علي تابليت، المرجع نفسه، ص 155.

[3] – علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 56.

1471مو عمره 90 سنة. ترك مؤلفات كثيرة منها تفسير الجواهر الحسان – رياض الصالحين– الدر الفائق في الأذكار – الأنوار في معجزات النبي المختار.[1]

بناه الداي الحاج أحمد سنة 1696، وجدد على عهد عبدي باشا 1730و يضم أضرحة والي دادة وسيدي منصورو الحاج احمد باي قسنطينة.

أما خارج المدينة (الفحوص) فأهمها إقامات القناصل الأوربية الاثني عشر بالأبيار ووادي المغاسل والأقواس وحيدرة وكبار الموظفين وتعرف بأسماء أصحابها مثل فيلات عبد اللطيف[2] إضافة إلى الحدائق والبساتين الغناء ذات الأشجار المثمرة والأزهار.[3]

كما وصفها عالمي المغرب الأقصى من خلال كتابي الرحلة المسكية للسفارة التركية قائلا فيها: " المسجد الجامع واسع إمامه مالكي المذهب...ومرساها عامرة بالسفن ورياسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش فهم أفضل من رياس القسطنطينية...فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقيا...حتى أنهم يسمونها إسطنبول الصغرى".[4]

كما وصفها ابن زاكور في رحلته"...من حدائق كالنمارق وقصور نوع المحاسن والذي أعارها ذلك المرأة الجميل...غزر أعلام يتجلى بهم الإظلام...".[5]

---

[1] – الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، دون طبعة، ج1، تقديم: محمد رؤوف القاسمي، موفم للنشر، الجزائر، 1991. ص 73–76. انظر كذلك: عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 226. انظر كذلك: ديفولكس، مرجع سابق، 151– 152.

[2] – علي تابليت، مرجع سابق، ص 56–57.

[3] – تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، دون طبعة، ترجمة عميراوي أحميدة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003م، ص 51.

[4] – علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، دون طبعة، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002، ص189.

[5] – ابن زاكور، أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان من فضلاء وأكابر وأعيان، دون طبعة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص40.

ويؤكد ذلك الوصف العالم الألماني ج، أوهابنسترايت في رحلته إلى الجزائر وتونس وطرابلس: " للمنازل أسطح مهيأة للاستراحة وشاهد في المنازل الزهور والنباتات والأثاث الجميل وطريقة المحافظة عليها تدل على التزام السكان بقواعد النظافة والنظام".[1]

وما يمكن ملاحظته عن التركيب العمراني لمدينة الجزائر:

- أنه تم وفق متطلبات الشريعة الإسلامية (قسمت المدينة إلى جزأين) الأسفل يحتوي على الهياكل الإدارية والأعلى على المساكن العامة.
- التقاليد العمرانية كانت من خلال تفاعلات كثيرة.
- الاستجابة للشروط الحضارية الإسلامية (بالحشمة وعدم التطفل على المنازل). تغطية الطرقات والشوارع (السباط) والتوائها وضيقها وتفرعها ومنها التي تتوقف عند أحد المنازل (الدروب).
- ذلك النسيج العمراني سمح بتعويض عدم خروج المرأة من البيت بالحديث مع جاراتها عن طريق الشرفات.
- تلطيف الجو أثناء الصيف على المشاة.
- حرص السكان على تبييض سكناتهم مرة كل سنة لذلك سميت الجزائر ب "الجزائر البيضاء".[2]

[1] – ج. أوهانسترايت، رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1730، دون طبعة، ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، دون تاريخ، ص 37.

[2] – محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص 27–28.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر

المبحث الأول: فئات مجتمع مدينة الجزائر

المطلب الأول: الفئة الخاصة

المطلب الثاني: فئة البرانية

المطلب الثالث: فئة أهل الذمة

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية

المطلب الأول: الاحتفال بالمناسبات الدينية

المطلب الثاني: الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية

المطلب الثالث: العادات اليومية

إذا كان التاريخ الاجتماعي هو العلم الذي يبحث في طبيعة المضامين والعلاقات الاجتماعية في بيئة جغرافية معينة ودراسة الحركات الاجتماعية لجماعة أو أكثر في مجتمع معين من خلال معرفة ثقافته المستحدثة والقديمة الناتجة عن التطور السياسي وطبيعة الأوضاع الاقتصادية التي أثرت في تراكيبه الاجتماعية وأساليب عيشه وتنظيماته العالمية وفئاته السكانية كما يعالج مظاهره المتعددة في أحوال الريف والمدينة والهجرة وعن الوضعية الثقافية السائدة.

بدأ الاهتمام بهذه الدراسات مع أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م نظرا لحاجتنا لهذه الدراسات التي تكشف اللثام عن جوانب مجهولة في حياة تطور مجتمعنا والعلاقات المتنوعة التي تحكمه (الاقتصادية والثقافية) في ظل السيادة العثمانية إضافة إلى أدوار المدينة كمراكز اجتماعية كبرى في الاستقطاب السكاني والتجاري والثقافي ودور الأقليات السكانية فيها[1] لهذا ارتأينا الخوض في الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر في العهد العثماني وهو موضوع بحثنا هذا.

قبل التطرق لدراسة الفئات الاجتماعية لمدينة الجزائر يجدر بنا التحدث عن الوضع الديمغرافي لمجتمع مدينة الجزائر.

اختلف المؤرخين في تقديراتهم لعدد سكان إيالة الجزائر مع نهاية العهد العثماني بين من ذكر 000 000 1 نسمة[2] وتقديرات " بوتان " عام 1808 بين (2800000 و3000000ن)، وإحصاء برو Perrot بـ 2500000 ن ومعلومات اللجنة الإفريقية في 1832 المقدرة ما بين (2000000 و4000000 ن) وكذلك حمدان خوجة الذي قدرهم ب

[1] – سيار الجميل، طبيعة الحياة الاجتماعية في المشرق والمغرب العربيين خلال الفترات العثمانية، مجلة الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، عدد 1121، الشركة التونسية، مارس 1988.

[2] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 38.

(10000000 ن) في حين رجحها ناصر الدين سعيدوني بحوالي 3000000 ن[1] وهو ما أشارت إليه لوسات فلنزي في كتابها **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر** " تقدر بثلاثة ملايين نسمة حسب أشد الإحصائيات دقة".[2]

أما عن عدد سكان مدينة الجزائر باعتبارها نموذجا حيث عرفت في مطلع العهد العثماني نموا ديمغرافيا بسبب توافد الأندلسيين واليهود واستقرار مجموعات من الأتراك والأعلاج لممارسة الجهاد البحري وجلب أعداد كبيرة من الأسرى مما جعل سكان المدينة يرتفع من 30 ألف نسمة عام 1450م إلى 100 ألف نسمة علم 1518 م بحيث بلغت أثناءها مدينة الجزائر أوجها وأصبح عدد سكانها يقدر ب 120 ألف نسمة.[3]

كما أن حسن الوازن إلى زار الجزائر في مطلع القرن 10هـ/16م اكتفى بالإشارة إلى عدد الكوانين أو البيوت فقال عن مدينة الجزائر أنها تحتوي على 4000 كانون أو بيت.[4]

وما يمكن ملاحظته عن عدد سكان مدينة الجزائر مايلي:

- أن النسب المقدمة هي نسب تقريبية.
- أن عدد سكان مدينة الجزائر وإن كانت في بداية العهد العثماني قليلة (4000 موقد) مقارنة بباقي المدن مثل قسنطينة 6000 موقد وبجاية 8000 موقد وتلمسان

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984. انظر كذلك محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص19. وانظر صالح عباد، مرجع سابق، 354.

[2] – لوسات فلنزي، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790–1830، تعريب: جمادى الساحلي، سنراس للنشر، تونس 1994. ص 27. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية من ق 16 – 19م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية عدد 31، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت 2010، ص51.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 132.

[4] – هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، دراسة سوسية تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري، مجلة آفاق للعلوم، العدد 07، جامعة الجلفة، مارس 2017. انظر كذلك حسن الوزان، مصدر سابق، ص37.

13000 موقد حيث أصبحت أهم مدينة خاصة بعد اتخاذها مقرا لدار السلطان أو عاصمة الإقليم.

- أن سكان المدن الجزائرية قليلة جدا(5) إذا ما قورنت بسكان الريف (95) من عدد السكان الإجمالي لإيالة الجزائر لأن المجتمع الجزائري كان مجتمعا ريفيا

تختلف كثافة سكان المدن من ناحية لأخرى ففي الناحية الغربية تصل الكثافة إلى 7 أو 8% وفي الناحية الوسطى إلى 6% وفي الناحية الشرقية3%[1]. إلا أن هذه النسب هي الأخرى تعلل ببقاء الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير في الناحية الغربية حتى سنة 1792 مما يقلل من مساحة البايلك فترتفع الكثافة. في حين الناحية الشرقية ذات مساحة أوسع من الناحية الغربية.

نمو سكان مدينة الجزائر في المرحلة الأولى أي منذ بداية العهد العثماني إلى غاية النصف الثاني من القرن 17م كان نموا سريعا ويعود ذلك إلى:

- ارتفاع عدد الوافدين من العثمانيين والأندلسيين.
- مصاهرة الأهالي الوافدين العثمانن أدى إلى ظهور عنصر جديد والمتمثل في الكراغلة.
- تزايد نشاطات البحرية الجزائرية فقد ساهم في جلب عدد كبير من الأسرى المسيحيين (25 ألف أسير).
- توافد العناصر السودانية (العبيد) نتيجة لاتصالاتها التجارية بين الجزائر والسودان الغربي.[2]
- كانت مدينة الجزائر تجذب السكان محليا (فئة البرانية) وخارجيا (الأعلاج: التجار) بحثا عن العمل وتحسين مستواهم المعيشي الذي لم توفر لهم بلدانهم الأصلية.

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1722 – 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب ط2، الجزائر، 1985، ص41.

[2] – هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، مرجع سابق ص 298.

- تحسن الأحوال الصحية والمعيشية وتكاثر السكان في المدن[1] نظرا لارتفاع غنائم الجهاد البحري ووفرة الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري وانعكاسه إيجابيا على السكان.

إلا أن هذه الأوضاع ما لبثت أن تغيرت نحو الأسوء فبعد 1725م بدأ السكان يتناقصون بسبب توقف الهجرة الأندلسية وتناقص الأسرى واشتداد الأمراض وتكرر المجاعات وحدوث الزلازل حتى أصبحوا لا يتجاوزون مع نهاية القرن 18م 50000ن ولم يتجاوزوا عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر 35000 ن.[2]

ما يلاحظ على هذه المرحلة الثانية هو:

- تراجع النمو الديمغرافي لسكان مدينة الجزائر وغيرها من المدن حيث تراجع العمران وانكمشت الحواضر.
- انهيار ديمغرافي مع نهاية القرن 8م وبداية القرن 19م.
- تدني مستوى المعيشة لسكان المدن يعود إلى:
  - زيادة الضغط الجبائي على سكان المدن من خلال الضرائب على الحرف.
  - حدوث حركات التمرد والانتفاضات والثورات الشعبية ضد مظالم الحكام.
  - تعدد هجمات الأساطيل الأوربية على مدينة الجزائر.
  - حدوث القحط أثناء مواسم الجفاف والتي أعقبها ظهور المجاعات وتكاثر الأوبئة.
  - إهمال السكان لقواعد الصحة وعدم أخذ الحكام بنظام الوقاية الصحية (الكرانتينة).[3]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص 45.

[2] – ناصر الدين سعيدوني. الجزائر في التاريخ، مرجع سابق ص 91، أنظر محمد الطيب عقاب، مرجع سابق ص 91. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 133.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص 47. انظر كذلك هشام بوبكر وعياشي بلقاسم، مرجع سابق، ص 298.

وكان للآفات الاجتماعية والكوارث الطبيعية دور كبير في تراجع النمو الديمغرافي الذي عرفته مدينة الجزائر في العهد العثماني ومن هذه الأمراض الخطيرة كالكوليرا والطاعون وما هو ملاحظ عنها حدوثها وتكرارها كل عشر سنوات وفي بعض الأحيان تستمر لبضع سنوات ففي القرن 17م ميزته تسعة وثلاثون سنة (39 سنة) انتشار للوباء وفي القرن 18م 21 سنة... وأغلب هذه الفترات التي عرفتها البلاد جاءت إثر الجفاف والمجاعة.

ومن أشد هذه الأوبئة فتكا بالسكان وباء عام 1654 والذي يعرف بالكونية حيث قضى على (3/1) ثلث سكان مدينة الجزائر، وباء 1664 تناقص سكان المدينة إلى أقل من النصف (2/1) بحيث لا يتجاوز 30000ن وباء 1740 دام 03 سنوات أهلك في أسبوع 10000ن.

ومن الكوارث الطبيعية الزلازل حيث عرفت مدينة الجزائر عدة هزات أرضية تسببت في تخريب المدينة وخسائر في الأرواح والممتلكات وأهم هذه الزلازل: زلزال 1632 الذي يقال عنه أنه أهلك سكان المدينة وزلزال 1665 الذي صاحبه خسوف الشمس وزلزال 1639 وزلزال 1676 الذي دام عدة شهور (هزات ارتدادية) وأضر بأغلب سكان المدينة وأهمها على الإطلاق زلزال 1718م الذي مات من جرائه 20000ن.

ومن الكوارث الطبيعية الأخرى الجراد والجفاف حيث اعتاد السكان حدوث المجاعات إثر سنوات الجفاف وفي أعقاب زحف الجراد والسنوات التي عرفت فيها زحف الجراد 1663، 1710، 1716، 1724، 1725، 1760، 1778، 1779، 1780 ومستمرة ما بين 1784 – 1787 و1798–1799 – 1800...الخ.

أما أعوام الجفاف فكانت مابين 1579، 1580 ومن 1609 إلى 1612 وما بين 1734، 1737 ومن 1778 إلى 1779 وفي 1806، 1807 وفي 1816 و1819.

أما المجاعات التي عرفتها المدينة فتمثلت في مجاعة 1579– 1580 فقدر عدد ضحاياها ب 1656 شخصا في مدة شهر (17 جانفي إلى 17 فيفري 1580) ومجاعة

1752م التي قضت على 1700 شخص في مدة شهر ومجاعة 1778 – 1779 كان الناس يموتون فيها في شوارع المدينة وتكاثرت المجاعات سنوات 1800، 1806، 1807، 1816. ومن أشدها مجاعة 1787 –1789 التي تسبب فيها الجراد وصاحبها الوباء (الطاعون).

في حين ساهمت الفيضانات في إتلاف منشآت المراسي والسفن بفعل العواصف الهوجاء في ميناء الجزائر وذلك سنة 1522 و1619 وتكررت حوادث الغرق في سنوات 1690، 1697، 1703، 1727، 1733، 1773، 1812، 1816.[1]

ومما ساعد على انتشار هذه الأمراض هو انتقالها من الأقطار المجاورة لصلة الجزائر بعالم البحر المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقتها بالبلاد الأوربية وارتباطها بالمشرق العربي مثل مصر والحجاز وإستانبول وأهم طرق انتقال هذه الأمراض توافد التجار والحجاج والطلبة والبحارة من أقطار الشرق الأوسط إلى ميناء الجزائر.

- انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول المدينة.
- عدم التزام السكان بالقواعد الصحية وجهلهم بها.
- ندرة الأدوية والعقاقير وقلة الصيادلة (صيدلية واحدة) والباش جراح القائم عليها يجهل مواصفات العقاقير وفوائدها الطبية حسب المصادر الأوربية.
- عدم اهتمام الحكام بأمور الصحة وعدم تطبيقهم لنظام الحجز الصحي على السفن والأشخاص.
- قلة مصحات العلاج بالمدينة وبالبلاد ككل بحيث انحصرت في مصحة الهواء وملجئ الأمراض العقلية الخاص بالعثمانيين ومارستانات رجال الدين المسيحيين

[1] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق ص ص 126–127. انظر كذلك لوسات فلنزي، مرجع سابق، ص ص 27–28 وانظر عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص ص 261–263 وانظر كذلك عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17م وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، سنة 2011–2012، ص ص 110–113.

وأهمها مارستان الذي أقامه الأب "سيباستيان دوبون" 1551 لفائدة الأسرى وأعيد تجديده 1612 والمستشفى الذي أنشأه الراهب "قاريدو" عام 1662م داخل سجون الجنينة ومستشفى لازاريت والمستشفى الفرنسي "بحصن الباستيون" وتخصيص مبالغ مالية كبيرة لها.[1]

- قلة الأطباء الجزائريين خلال هذا العهد وأشهرهم عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش 1197هـ، حيث اهتم بالطب والصيدلة وألف في الطب وصنع المستحضرات واستفادت الدايات من الأطباء الأوربيين الموجودين في الجزائر على غرار الداي علي خوجة بالطبيب الإسباني، خوان فرنندو دي لاس هراس باشتداد الطاعون 1818م[2] كما عالج هانسترايت ابن الداي عبدي باشا وأعطى حر من الداي طريقة تحضير العقاقير.

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، مرجع سابق، ص 88.

[2] – فوزية لزغم، الأطباء الأوربيين بالجزائر خلال العهد العثماني 1519– 1830، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15 و16، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012 – 2013، ص ص 163 –167.

المبحث الأول: فئات مجتمع مدينة الجزائر

يتميز الواقع الاجتماعي لسكان مدينة الجزائر بوجود فئات مهنية وطوائف عرقية تختلف عن بعضها البعض في العدد والمكانة الاجتماعية والفوارق المميزة لكل فئة.

بالنظر إلى الفئات الاجتماعية لمدينة الجزائر نجدها تشكل هرما اجتماعيا تتصدره الفئات المحظوظة وذات العدد القليل في حين تشكل قاعدته الأهالي ذات الأعداد الهائلة مع قلة امتيازاتها وعلى الرغم من الاختلاف بين هذه الفئات إلا أنها كانت منسجمة ومتماسكة فيما بينها بحيث تصب في مصلحة إيالة الجزائر ومدينتها.

المطلب الأول: الفئة الخاصة

تضم الفئة الخاصة العثمانيين والكراغلة والحضريين وجعلناها من الفئة الخاصة نتيجة تحكمها في القوة العسكرية والاقتصادية ولما لها من امتيازات ومكانة اجتماعية[1]. وسنتطرق إليها الواحدة تلوى الأخرى فيما يلي:

1-العثمانيين:

إن معظم المؤرخين يشيرون للعثمانيين بالأتراك والأصح العثمانيين نسبة لمؤسس الدولة العثمانية عثمان بن أرطغرل بن سليمان بن قاية بأرض روم بالأناضول في سنة 726هـ[2]، كما منحه السلطان علاء الدين السلجوقي المدينة القديمة وبانقراض الدولة السلجوقية بموت علاء الدين سنة 699هـ/1299م اعتلى السلطة.

بدلهم لأنها كانت تضم أشتات مختلفة.

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص 53.

[2] – إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص ص 47 – 49.

سبق وأن تحدثنا في الفصل الأول عن انضمام الجزائر للدولة العثمانية. تضم فئة العثمانيين القوات الإنكشارية[1] موظفين وقادة ورياس البحر[2]، أشار لها كل من عبد القادر حليمي بطبقة الأسياد وعمار بوحوش بالطبقة الأرستقراطية[3] وتحتل قمة الهرم الاجتماعي[4] رغم قلة عددها حيث لم تتجاوز 20 ألف ن سنة 1830م.

أما عن الإنكشارية في الجزائر فقد كانت مع بداية انضمام الجزائر للدولة العثمانية على يد خير الدين بربروس حيث أرسل السلطان العثماني سليم الأول سنة 925هـ/1519م ألفي إنكشاري وأربعة آلاف متطوع.[5]

ويضيف أرزقي شويتام عن المجندين والمتطوعين القادمين من الأناضول لمن انضاف إليهم من الأتراك الذين كانوا يتوافدون من المشرق طوال الفترة العثمانية 1519-1830 وقسمهم إلى فئتين:

الفئة الأولى: وهم القادمين من الأناضول والروملي ليسوا كلهم إنكشارية يمارسون الحرف وأعمال أخرى.

---

[1] – الإنكشارية: مأخوذة من العبارة العثمانية "يني جيري" وتتكون من كلمتين" يني" تعني الجديد و"جيري" وتعني النظام وهو مصطلح أطلق عليه نظام الجند الجديد أحدثه السلطان أورخان بن عثمان الأول 727 – 761 هـ ومصدرها حاج بكتاش بحيث منحهم الاسم "يني جيري "وباركهم وتكونت بجمع أبناء رعايا الدولة العثمانية في أوربا وتربيتهم تربية إسلامية عسكرية وقدمت خدمات كبيرة للدولة في القرنين 17 و18 م ثم تمردت على الدولة فأبادها السلطان محمود الثاني 1826م. انظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، دون طبعة، السلسلة 3 (43)، الرياض، 2000، ص 41.

[2]– مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518 – 1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 05، عدد 16، جامعة تكريت، 2013، ص 425.

[3] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1997، ص73.

[4] – محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص 19.

[5] – توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي والعسكري للجزائر، الدار العثمانية للنشر، دون طبعة، الجزائر، 2009، ص 20.

الفئـة الثانيـة: تتشكل من الأوربيين المعتنقين للإسلام ويسمون بالأعلاج، عرفت فئتهم ارتفاعا ملحوظا في القرن17م، كما شكلوا أغلبية رجال البحرية الجزائرية.[1]

ويتم تجنيد الأناضولين حسب مذكرات فونتير دي بارادي عن طريق تنصيب خيمة التطوع أو الخدمة في الجيش بحيث يأتي الراغبون في العمل ويتم إطعامهم إلى أن يأتي وقت ترحيلهم إلى الجزائر ويرغبونهم في نظام التجنيد بالامتيازات والمغانم والترقيات وعن الحياة الرغدة التي تنتظرهم في الجزائر، وبوصولهم إليها تضبط أسمائهم في دفاتر تذكر فيها بلادهم الأصلية وصفاتهم وثكناتهم والأودباشي[2] الذين يعملون تحت إمرته والأورطة[3] التي يتبعها والزيادات في مرتبه والملاحظات على خدمته.[4]

يسكن الجنود في الثكنات تحت إشراف قادتهم كل غرفة تحت رقم معين بحيث يسهر قادتهم على تطبيق الانضباط ولهم قوانين عسكرية لا يتجاوزونها ولا يتقدمون في الرتبة إلا بعد مرور ثلاث سنوات وترتفع مرتباتهم حسب رتبهم.[5]

في حين يسكن الضباط ورجال الدولة مساكن محلاة بالسيوف والمكاحل والساعات والمرآة وتفرش أرضها ببساط. أما المتزوجون من رجال الديوان والضباط فينامون في منازل أخرى وبذلك يفقد الطعام الذي كان يقدم له.[6]

---

[1] – أرزقي شوبان، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 –1830، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009، ص84–85.

[2] – الأودباشي: رئيس فرقة متكونة من 10 إلى 20 جنديا وتعني حرفيا "راس الدار"، انظر: توفيق دحماني، مرجع سابق، ص22.

[3] – الأورطة: الفرقة العسكرية التي يتألف منها الجند العثماني بالجزائر وعددها 420 أورطة.

[4] – أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، الجزائر 1986، ص185.

[5] – حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، دون طبعة، منشوراتANEP ، دون مكان، 2005، ص ص 82 –83.

[6] – أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، مرجع سابق، ص 183.

ويتم جلب المجندين بثلاث أساليب أحدها عن طريق إرسال بعثات مكلفة بذلك والثاني عن طريق وكلائها الموجودين في المدن الساحلية في آسيا الصغرى وجر إليه المعروفين بضباط التجنيد[1] والثالث عن طريق زيارة المجندين في الجزائر لأهاليهم حيث يأخذون معهم المال والألبسة الفاخرة ليظهروا في مظهر الرخاء أمام بني وطنه وليعجبهم ذلك إذ هو ابن لأحد المزارعين وعندما يعود للجزائر يصطحب معه جماعة من سكان بلاده يقدمهم إلى الدفتر وتحت ضمانه يقبلون في صفوفهم.[2]

وما يثبت ذلك فقد جاء في كتاب الجزائر في الوثائق العثمانية: منشور (115) الفرمانات السلطانية التالية:

- إجراء المعاملات المتعلقة بالمتطوعين من ألوية أزمير...للتوجه إلى الجزائر نزولا عند رغبة داي الجزائر والأهالي على أن تدفع رواتبهم من قبل أوجاقهم.[3]
- تسجيل أسماء الراغبين بالخدمة العسكرية من ألوية أزمير...طوعا وليس قسرا على أن تتم تغطية رواتبهم من قبل الأوجاق لحماية الجزائر.
- إرسال المعدات العسكرية المطلوبة من قبل الجزائر بعد تجهيزها في الترسانة والطوبخانة العامرة (معمل المدافع).[4]

يستقرون بمدينة الجزائر في حصون وثكنات ومن أهم هذه الحصون حصن القصبة وبرج النجمة والبرج الجديد وبطارية الباب الجديد وبطارية سيدي رمضان ومن أشهر الثكنات: ثكنة الخراطين، وماكرون وأسطى موسى وباب الجزيرة واللبنانجية وهي أقدم

[1] – توفيق دحماني، مرجع سابق، ص21.

[2] – حمدان خوجة، مصدر سابق، ص81.

[3] – مصطفى بوداق وآخرون، الجزائر في الوثائق العثمانية، ترجمة فاضل بيان ومحمد الصالح الشريف، رئاسة دائرة الأرشيف العثماني، رقم المنشور 115، طباعة أوفسات، أنقرة، 2010، ص70-88.

[4] – كلمة عثمانية لها عدة معاني: تطلق على صنف من الجند كالسباهية وهي فرق من العساكر في الجيش الإنكشاري، أنظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص42.

الثكنات وأكبرهم بحيث تضم 1661 إنكشاري موزعين على (65) مجموعة (أوجاق) وتنقسم إلى 23 غرفة (أوده).[1]

أما عن الفئة الثانية وهي فئة الأعلاج والتي تعني الرجل من كفار العجم كما أطلقت على الرجل الضخم من الكفار هذا لغة، أما إصلاحا فالعلج أطلقت على الأوربيين المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام للدلالة على أصلهم المسيحي أما الأوربيين فيدعونهم بالمرتدين يغيرون أسمائهم ويتخلون عن ألقاب آبائهم وتعود أصولهم لمختلف الدول الأوربية وسواء كانوا عبيدا أو أحرارا.[2]

وذكر ناصر الدين سعيدوني دور الأعلاج من أسباب قوة البحرية الجزائرية لجوء الكثير من البحارة الأوربيين للعمل في البحرية الجزائرية بعد اعتناقهم للإسلام وتبوئهم لمناصب عليا[3] أمثال علج علي وعلي بتشنين...إلخ.

وارتبط وجودهم أساسا بنشاط البحرية حيث ارتفع عددهم في القرنين 16 و17م وقل عددهم في القرن 18 وأوائل القرن 19م عندما ضعفت البحرية وقل عدد الأسرى حيث وصل عددهم في الفترة الأولى إلى 25000 شخص أي ¼ سكان المدينة.[4]

وعن تطور عددهم ذكرت جميلة ثابت أن خير الدين اتجه إلى تونس مع قوات عسكرية من بينها 600 علجا معظمهم إسبان وفي القرن 17 م قدر عدرهم غراماي بـ 12000 علج وذلك في سنة 1619 وأن عدد الداخلين في الإسلام يتعدى 500 شخص سنويا.[5]

---

[1] – الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج4، مرجع سابق، ص92.

[2] – جميلة ثابت، دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوربا خلال القرنين 16 و 17م، مذكرة ماجستير معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، سنة 2010، ص ص40-42.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ن دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص 190.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص54.

[5] – جميلة ثابت، مرجع سابق، ص ص43-44.

وكان للرياس دور كبير في ازدهار الإيالة[1] الجزائرية[2]، وما يؤكد ذلك أنه قد شوهد في أسواق مدينة الجزائر الذهب المكسيكي والماس الهندي وحرير الشرق وأقمشة وفضة البيرو التي كانت تتدفق على الجزائر كما كانت السفن ذات الأعلام المختلفة تدخل لميناء الجزائر وهي مليئة بالأسرى والثروات وبذلك غدت الخزينة الجزائرية مليئة بالنقود المتعددة الجنسيات[3]، ويعود ذلك لشجاعة أوجاق وبحارة الجزائر التي نشرت الرعب في قلوب المسيحيين برا وبحرا وأجبرت دول أوربا على دفع الضريبة السنوية.[4]

وعدد المؤرخين الأجانب لسلبيات العثمانيين الأتراك على غرار العالم الألماني ج.أو. هانسترايت قائلا: "ينظرون للجزائريين نظرة احتقار فلا يجندون أحدا منهم...ويضطرون للزواج من الأسيرات المسيحيات..."[5]، وكذلك وليام شالر قائلا: "إن عصابة من المغامرين الأجانب استولت على سلطة السيادة واستحوذت على جميع الوظائف الحكومية وعلى جميع مصادر الثروة تحت إشراف الحكومة التي يشكلونها (الديوان) وتخدم مؤسساتهم وأطفالهم..."[6]، وفي موضع آخر قائلا: " يتصفون بصفة عامة بالأدب في معاملاتهم اليومية وفي الحياة السياسية يكشفون عن وحشية نادرة"[7]. في حين ذكر هايدو "أنهم يرون أنفسهم أسيادا على الجزائر ويتعاملون مع السكان وكأنهم عبيد لهم إذ يسلبونهم ويشتمونهم".[8]

---

[1] – إيالة: ولاية –البك بكوية منذ نهاية ق 16م، انظر خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2002، ص336.

[2] – روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ج1، القاهرة 1993، ص617.

[3] – عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 129.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص 198.

[5] – ج.أو.هانسترايت، مصدر سابق، ص29.

[6] – وليام شالر، مصدر سابق، ص51.

[7] – وليام شالر، نفس المصدر، ص 54.

[8] – فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص29.

وينفي حمدان خوجة ادعاءات المؤرخين الأجانب قائلا " اكتسبوا ود العرب والبربر من خلال احترامهم للمرابطين وتقديسهم لأماكن سكناهم أحياء ولضرائحهم بعد موتهم وإظهارهم للشعب بأنهم حماة الدين ويمتنعون عن القيام بما هو مناف للقانون ويقيمون الصلاة بانتظام مما جعل الناس ينظرون إليهم بأنهم صالحون ويخضعون لهم ويثقون فيهم"[1]. وتطبيق العدالة والإنصاف لأنهما أساس الحكم كما كانوا حريصين على احترام عادات البلاد وإن كانت لهم بعض المساوئ، كانوا يعملون على إصلاحها[2] ويؤكد ذلك محمد شاطو في رسالته: "إن لأهل الجزائر صولة واستعداد وغزوات في البحر يغزون مراكب الإفرنج ويغنمون منها غنائم ويأخذون منهم أسرى وتحت أيديهم من الأسرى شيء كثير".[3]

وهو ذاته مايخبرنا به التمكروتي في وصفه للجيش البحري الجزائري: " مرساها عامر بالسفن ورياسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو".[4]

إن ما يميز فئة العثمانيين أنها فئة قليلة العدد، حيث تعتبر أقلية لم يتجاوز عددها أواخر القرن 16م 10 آلاف ولم تزد في الربع الأول من القرن 17م عن 12 ألف نسمة، وترجع قلة العنصر العثماني إلى:

- حالة العزوبة التي يعيشها أغلب أفراد الجيش العثماني.
- عدم تبني أبنائهم (الكراغلة) واعتبارهم عنصرا هجينا.
- تعرض الكثير منهم للأمراض والأوبئة والثورات الشعبية التي عرفتها الجزائر.

---

[1] – حمدان خوجة، مصدر سابق، ص73.

[2] – حمدان خوجة، نفس المصدر، ص ص 80–81.

[3] – محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2005–2006، ص 136.

[4] – علي بن محمد التمكروتي، مصدر سابق، ص 129.

والميزة الثانية التي يتميز بها العثمانيين هي العزلة التي عاشتها في الجزائر وتعود أسبابها إلى:

- رغبة الحكام في الحفاظ على امتيازاتهم بعدم الزواج.
- التمسك بعاداتها وأسلوب حياتها.
- اعتقادهم بأنهم جماعة ممتازة.
- النزاع الذي حدث بين فرق الوجاق وجماعة الرياس وكذلك بين فئة العثمانيين والكراغلة مما أدى بهم لتفضيل العزلة وتوتر علاقاتهم ب الأهالي لذلك كان تأثيرهم في الحياة الاجتماعية محدودة عدا المأكولات والملابس والفنون.[1]

ويرجع أغلب المؤرخين سوء العلاقات بين الفئة العثمانية الحاكمة وأهل البلد لإبعادها لهؤلاء الأخيرين حتى لا ينافسونهم[2] في المناصب الحكومية وإبقائها حكرا عليهم على الرغم من قلة عددهم واضطرارهم لاستقدام أبناء جلدتهم في حالة وجود نقص في إدارة البلد وتبنيهم للأعلاج والسماح لهم باعتلاء أعلى المراتب كرياس البحر وحتى كبشاوات إلا أن ذلك لم يؤثر فيهم وما يؤثر في السكان هو اعتدال العثمانيين[3] واحترامهم للقوانين وعدم استخدامهم للقوة ضد العامة.

2-الكراغلة:

رسم مصطلح الكراغلة على عدة أشكال منها قول أوغللري. قول غولي. قرغلان. كول أوغلي. وكوله أوغلو، وهي أشكال من التركية العثمانية.

أما في المراجع الحديثة فوردت كولو غلاري، فكلها تلتقي لتؤدي نفس المعنى.[4]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، مرجع سابق، ص92-94. انظر كذلك صالح عباد، مرجع سابق، ص 357. انظر كذلك لوسات فلنزي، مرجع سابق، ص 36.

[2] – مؤيد محمود حمد المشهداني، مرجع سابق، ص425. انظر كذلك محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص 20.

[3] – حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 73.

[4] – محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران ن رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2004، ص70.

الكراغلة: جمع كرغلي يعود أصلها إلى الكلمة التركية المركبة من كول: عبد –غلام، أوغلو: ابن أي ابن العبد.

وتعود العبودية هنا إلى الأب الإنكشاري الذي يعتبر بمثابة عبد للسلطان العثماني.[1]

تكونت هذه الفئة نتيجة تزاوج أفراد الجيش التركي بنساء جزائريات وظهرت لأول مرة في المدن التي أقيمت بها الحاميات التركية[2] خاصة في الناحية الغربية مثل تلمسان، معسكر ن قلعة بني راشد، مستغانم، مازونة، ويعود ذلك للوجود الإسباني بوهران والمرسى الكبير إلى غاية 1792م.

تعتبر من أهم الفئات الاجتماعية بعد فئة الأتراك العثمانيين والأعلاج نظرا لما تتمتع به من امتيازات مثل:

- تعيين أفرادها في مناصب الدولة
- التمتع ببعض التسهيلات.
- إعفائهم من بعض الضرائب.[3]
- صلتهم بالأتراك (عمومة) وعلاقتهم بالأهالي (الخؤولة).[4]

وأما عن تاريخها كفئة مستقلة كان سنة 1596[5] عندما ثارت بعض أحياء المدينة على الإنكشارية بتحريض من خيضر باشا حيث اتخذوا موقفا واضحا ضد الأتراك ومنذ ذلك الحين بدأ صراع خفي وطويل بين الأتراك وذريتهم وبلغ ذروته سنة 1629م عندما اكتشفت

---

[1] – محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات 1659–1671، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر سنة 2007 –2008، ص99. انظر كذلك: محمد مقصودة، مرجع سابق، ص70. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص55.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، مرجع سابق، ص 94.

[3] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص89.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ص 95. انظر كذلك نفس المؤلف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 55.

[5] – فهيمة عميراوي، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، دراسة اجتماعية اقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008 –2009، ص 50.

مؤامرة دبرها الكراغلة للاستيلاء على السلطة وبذلك قرر الديوان نفي عدد كبير منهم إلى وادي الزيتون (الأخضرية) ثم إلى تونس ومصادرة أملاكهم و في سنة 1633م رجع أغلب المنفيين واستقر بعضهم ببرج زمورة قرب مجانة والبعض بوادي الزيتون (قبيلة الزواتنة) وحاولوا الاستيلاء على السلطة بالجزائر بعد اتفاقهم مع السكان سرا والذين خيبوهم وبالتالي باءت محاولتهم بالفشل وفجروا مخزن البارود وانتهت ثورة الكراغلة وحضر عليهم الديوان الانضمام للإنكشارية وتولي المناصب السامية وسمح لهم فقط بالغزو البحري.[1]

سمح الداي شعبان آغا 1661-1665م للكراغلة بالانتساب للأوجاق والإدارة إلا أنها لم تشمل أعدادا كبيرة حيث ارتقى بعضهم إلى منصب البايات على غرار الباي محمد الذباح (1671-1668م) على بايلك التيطري وأحمد باي (1826-1837م) على بايلك الشرق، ومصطفى العمر (1736-1748م) على بايلك الغرب.[2]

وما يستشف من السماح للكراغلة بتولي المناصب العليا نتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية التي تمر بها البلاد كتغير نظام الحكم من الباشوات إلى الأغوات (1669-1671م).

أما عن أعدادهم بمدينة الجزائر حيث ناهز عددهم في نهاية القرن 16م (6 آلاف نسمة) ثم تضاءل عددهم بسبب الأحداث التي عرفتها البلاد واستقرارهم بالبليدة والقليعة حيث قدر عددهم بواد الزيتون بـ2665 فردا، وفي منتصف القرن 17م كان عددهم 1600 عائلة بمدينة الجزائر وتراوح عددهم بين 4000 و6000 عام 1781م، ثم تزايد إلى 9000 نسمة في أوائل القرن 19م، وقدرتهم سلطات الاحتلال بـ 4000 نسمة في مدينة الجزائر وبـ

[1] – محرز أمين، مرجع سابق، ص99-100. انظر كذلك: صالح عباد، مرجع سابق، ص358، وانظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، ص 95. وانظر مؤيد محمود المشهداني، مرجع سابق، ص 426.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سابق، ص 44. انظر كذلك: نفس المؤلف، الجزائر في التاريخ، ص96. انظر كذلك: صالح عباد، مرجع سابق، ص 358.

2000 نسمة في كامل الإيالة[1]، وما يفسر قلة أعدادهم بمدينة الجزائر يعود للظروف التي مرت بها هذه الفئة (التمردات) وطرد الديوان لها عن شغل الوظائف في الدولة لفترة زمنية (50سنة) وتعمير المدن المجاورة لها كالقليعة والبليدة التي تمثل القسم الأكبر من سكانها.

وما يمكن استنتاجه عن فئة الكراغلة فعلى الرغم من اعتبارهم طبقة وسطى بين الأتراك العثمانيين أعمامهم والأهالي أخوالهم لم يسعوا جاهدين لربط الصلة بين الحاكم والمحكوم وإنما كان سعيهم للحصول على الوظائف والامتيازات بل حتى أنهم فقدوا مكانتهم بين الفئتين فالأهالي ينظرون إليهم على أنهم مؤيدين للأتراك العثمانيين في سياستهم وهؤلاء متخوفون من تزايد أعدادهم الكبيرة والخوف من ربط علاقات بالأهالي ليتم طردهم من البلاد.

3-الحضريين:

الحضر من الناحية اللغوية تعني الحضور بالمدينة أي السكن بها ويسمى الحضري بالمديني.

اختلف في تحديد مفهوم الحضر، فمنهم من عرفها على أنها الفئة البرجوازية الثقافية لتحكمها في العلم والدين، ومنهم من قال أنها الفئة التي تمارس أعمالا تجارية وحرفية بداخل المدينة وفلاحية بأحوازها من خلال استغلالهم للعبيد ومنهم من قال أنها الفئة التي استوطنت المدينة منذ زمان بعيد.[2]

تتألف من ناس البلد أو البلدية الممثلين من قبيلة الماكيل الموجودة في سهل متيجة ومن المغاربة[3] الوافدين عليها قبل الوجود العثماني 1519 من عرب أو أمازيغ[1] تعود إلى الفترة الإسلامية وما انضم إليهم من أندلسيين وأشراف.[2]

---

[1] – محمد مقصودة، مرجع سابق، ص ص78 –81. انظر كذلك: أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص ص 89–90.

[2] – بلبراوات بن عنو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007 –2008، ص 122.

[3] – كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 16.

- وتميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز.
- يؤلفون طبقة ميسورة ويشتغلون في مهن صناعية وأعمال تجارية ووظائف قضائية وتعليمية.
- اهتم أفراد هذه الفئة بتنمية ثرواتهم باستغلال أملاكهم واستثمار مزارعهم في فحوص المدينة.
- خضوعها للسلطة الحاكمة وقلة اهتمامها بالأمور السياسية[3] رغم مكانة بعض العائلات الحضرية الساعية للحفاظ على امتيازاتها.

إن عدم طموح أعيان وممثلي هذه الفئة للمناصب السياسية وعدم تأثيرهم في نظام الحكم هو ما جعل العلاقة بين السلطة المركزية وسكان المدينة تكون حسنة وامتازت بالتعاون والتواصل لأن السلطة:

- حرصت على مراعاة أحوال الرعية.
- إدراك السلطة أن سكان المدينة لها خصوصياتها ويجب أن تحترم.[4]
- نظرة الأهالي للسلطة العثمانية على أنها المدافعة عن الدين وأهله.
- إدراك العثمانيين مدى محبة السكان للعلماء والأولياء واحترامها لهم مما كسبها ولائهم.[5]

---

[1] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 77. انظر كذلك: رحلة العالم الألماني اوهانسترايت، مرجع سابق، ص32.

[2] – ليلى تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19 م. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17. جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014، ص 138، انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 96. انظر كذلك: صالح عباد، مرجع سابق، ص 358.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، مرجع سابق، ص97، انظر كذلك: شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص388.

[4] – محمد شاطو، مرجع سابق، ص ص 48–49.

[5] – محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر، مرجع سابق، ص 336.انظر كذلك: هدان خوجة، مصدر سابق، ص 80.

- التعاون مع بعض العائلات الكبرى لتكون عونا لها في تعاملها مع السكان بإسناد الوظائف الدينية وبعض المهام الإدارية.
- المحافظة على تمايز بعض الجماعات بالمدينة تأكيدا لأوضاعها وإقرارا لخدماتها.
- ممارسة الضغط الإداري على المدينة بتشديد الرقابة على الطوائف المهنية.[1]

إن عدم سعي سكان المدينة (فئة الحضر) لتبوء المناصب السامية في الدولة وعدم تدخلها في شؤون الحكم هو الذي يبرر العلاقات الحسنة للسلطة العثمانية بالجزائر مع سكان الحضر وبمعرفتها طبائع السكان ونقاط ضعفهم جعلتها تسعى لكسب ودهم وعدم استعمال القوة العسكرية ضدهم. لأن عدد قواتها غير كافية بأن تفرض وجودها ضدهم بالقوة العسكرية.

ومن العناصر المشكلة لفئة الحضر الأشراف الأندلسيين والسكان الأصليين للمدينة التي لا نعرف عنها سوى أسماء أهم العائلات مثل عائلة سيدي عبد الرحمان الثعالبي وسالم التومي وعائلة سعدي محمد الشريف.[2]

أ-الأشراف:

الشرف: هو العلو والرفعة حيث قال ابن السكيت لا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه بالشرف ويشتمل على عراقة الأصل وشرف المحتد.[3]

قال الرزقاني: كان اسم الشريف يطلق في الصدر الأول على من كان من آل البيت سواء كان حسنيا أو حسينيا أو علويا أو عباسيا أو جعفريا أو عقيليا.[1]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص ص 64-67.

[2] – عائشة غطاس، الحرف والحرفيون لمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية، دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص5.

[3] – مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دون طبعة، القاهرة 2000، ص 215.

كما قال العدواني: أن الأشراف هم من أولاد الحسين ابن فاطمة الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وسلم[2] وذكر أبو القاسم سعد الله أن الشريف هو الذي ينتسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة ويسمى البعض هؤلاء بأشراف الأصل.[3]

وأطلق لفظ الشريف على كل عباسي ببغداد وكل علوي بمصر لأن الخلفاء ببغداد من بني العباس الفاطميين والذين حكموا بمصر من ولد علي وفاطمة الزهراء.[4]

إن فكرة الشرف لم تبقى مرتبطة بأصول عرقية أو عربية أو الانتساب لآل البيت، بل هناك عائلات شريفة في الأوساط البربرية سواء كان عن طريق اختلاط بالمصاهرات أو عن طريق الادعاء بالانتماء لأشراف قريش أو بقايا الصحابة الذين نزلوا بالجزائر أيام الفتح وقد ظل الانتماء للأدارشة والحسينيين والساقية الحمراء والمغرب علامة على الانتساب لآل البيت.[5]

تتميز فئة الأشراف بـ:

- قلة العدد.
- اشتهار أفرادها بالورع والتقوى مما أكسبهم الاحترام والتقدير.
- تقدم لهم الهدايا والمساعدات على غرار الداي محمد بقطاش الذي أوقف لهم الأملاك وساهم في إنشاء زاويهم سنة 1121هـ/1709م.

---

[1] – قارة مبروك بن صالح، تاريخ مدن وقبائل الجزائر، المؤسسة الصحفية للنشر والتوزيع، ط2، المسيلة، 2012، ص113.

[2] – محمد العدواني، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1996، ص148.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 11.

[4] – قارة مبروك، مرجع سابق، ص113.

[5] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج7، مرجع سابق، ص319.

اندماج أغلب أفرادها في طبقة الحضر وبقي ينتسب لها (300 عائلة)[1]، ومن أهم الأشراف الحاج أحمد الشريف الزهار ابن الحاج علي النقيب وينتهي نسبهم إلى ذرية محمد صلى الله عليه وسلم إلى إدريس الأكبر. ولد بمدينة الجزائر سنة 1196هـ/1781م، أيام محمد عثمان باشا. بعد تعلمه، تولى نقابة الأشراف بعد وفاة والده بعد الاحتلال في 1832م نفي إلى تونس وعاد لقسنطينة حيث تولى الكتابة لدى الحاج أحمد باي إلى غاية سقوطها في 1837م، وانتقل بعدها للأمير عبد القادر وتولى الكتابة له ثم رحل للمغرب الأقصى وبعدها عاد للجزائر وتولى نقابة الأشراف واعتكف على الكتابة والتأليف إلى أن مات في 1289هـ-1872م.[2]

ب-الأندلسيين:

تعتبر من أهم الفئات الحضرية لمدينة الجزائر. تكونت إثر سقوط حواضر الأندلس[3] الواحدة تلوى الأخرى إلى أن سقطت غرناطة وتوقيع معاهدة الاستسلام في محرم 987هـ/ 25 نوفمبر 1491م بين أبي عبد الله آخر ملوك بني الأحمر وفيرناندو وإيزابيلا ملكي إسبانيا الكاثوليكيين وبلغت مواد المعاهدة أكثر من 50 مادة[4] تنص على تأمين المسلمين واليهود في الأندلس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وحريتهم في الدين وعدم الحيلولة بينهم وبين الهجرة متى شاءوا ثم أخذوا في حل مواثيقهم بندا بندا.[5]

وتعود فكرة نفي الأندلسيين الموريسكيين إلى عام 1582م بعد الثورة الغرناطية ولكثرة الاجتماعات المسيحية الخاصة بطردهم على الرغم من تنصيرهم حيث بدأت هجرة اختيارية

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، مرجع سابق، ص99.

[2] – الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب الأشراف: تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980، ص ص 9-10.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 44.

[4] – عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون أو الموريسكيون الأندلسيون، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص21.

[5] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص 52.

1608م من طرف أسر غنية إلى فرنسا كما خرجت أول شحنة من المسلمين المنصرين حاملة 28 ألف نفسا من ثغر دانية نحو وهران ثم ألحقت بقرارات الطرد النهائي بداية من 22 سبتمبر 1609م من بلنسية ثم قشتالة في ديسمبر 1609 وتأجل في مرسيه إلى جانفي 1614.[1]

هذا وكان قد سبق قرارات الطرد النهائية إجراءات تعسفية فرضت عليهم التنصير أو الرق مدى الحياة وملاحقتهم عن طريق ديوان التفتيش وصودرت ممتلكاتهم وتجريدهم من ماضيهم (لغة، عادات وتقاليد، لباس، أسماء...) أو أي Mouriscosالتعلق بدينهم وبدخول قرار الطرد صاروا يعرفون بالموريسكيين المنصرين.[2]

إن غرناطة وحدها كانت تضم نصف مليون مسلم وأدت عمليات الإرهاب الوحشية إلى نزوح أهلها والفرار إما إلى جبل البشرات أو إلى المغرب والمشرق الإسلاميين حيث غادر خلال هذه الفترة 3 ملايين وفي الفترة الأخيرة نصف مليون كما هاجر معهم قرابة المليونين يهودي.[3]

وبتهجيرهم من الأندلس توافدوا على بلدان المغرب الإسلامي بما فيها المدن الجزائرية وخاصة مدينة الجزائر طوال القرن 16م والعقدين الأوليين من القرن 17م[4] وناهز عددهم بها وبفحوصها سنة 1611م حوالي 30 ألف وأصبحت لهم أحياء خاصة مثل ناحية الثغريين[5]. وحسب كورين شوفالييه فإنهم يقسمون إلى فئتين.

1- الثغريون: وهم الوافدون من مملكة الأراغون (فالنسيا، كتالونيا).

---

[1] – عبد الله محمد جمال الدين، مرجع سابق، صفحات :211. 218 .241.

[2] – مريم رزاق بعرة، أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعاث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 3. ص 157-158. انظر كذلك: أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، دون طبعة، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، 2011، ص 215.

[3] – بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547م، ط1، دار النفائس بيروت، 1980، ص 47 – 48، أنظر كذلك: أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص 148.

[4] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 77.

[5] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، مرجع سابق، ص 57.

2- المودجار: وهم آخر من وصلوا من غرناطة والأندلس[1] المتكلمين الإسبانية في ما بينهم.

كان للأندلسيين فضل كبير في إنعاش الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية[2] في مختلف البلدان التي حلوا بها وفي مجتمع مدينة الجزائر لكونهم أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي الجماعات الحضرية الأخرى.

- تطوير المهن والأشغال اليدوية بالمدينة وجلب المياه لها.
- ساعدوا على شيوع اللغة العربية والقضاء على اللهجات المحلية.
- مهاراتهم بالمعاملات المالية والمبادلات التجارية وتمرسهم على ركوب البحر.
- امتلاكهم للمنازل وشراء الضيعات وحيازة الأراضي الزراعية.
- غناهم المادي من خلال مساهمتهم في الضرائب والأوقاف.
- حفاظهم على رقة الذوق والتفنن في العمارة والموسيقى.[3]
- لهم دور كبير في تحديث وتطوير الأسطول العثماني وخططه ومناوراته.[4]

المطلب الثاني: فئة البرانية

عرفت مدينة الجزائر ظاهرة وفود سكان المناطق الداخلية إليها من الجبال والأرياف والتي عرفت بالبرانية في حين أنها لم تطلق على ساكني المدن القريبة منها أو البعيدة من مختلف الجهات والتي وفدت على مدينة الجزائر بحثا عن العمل وتكتب في الوثائق بنسبها دون مصطلح البراني.[5]

---

[1] – كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 16.

[2] – أحمد سالم، مرجع سابق، ص 216.

[3] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، ص 98. انظر كذلك: عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 146. وانظر كذلك عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص56. وانظر كذلك: محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص169. وانظر كذلك أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص 148.

[4] – أحمد سالم، مرجع سابق، ص 216.

[5] – عائشة غطاس، مرجع سابق، ص 19-20. أنظر كذلك: أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 78.

انتظم الوافدون الريفيون والصحراويون في جماعات حسب الأصول الجهوية مثل جماعة الميزابين والجواجلة والأغواطيين والبساكرة ويتصدر كل جماعة أمين تعينه السلطة العثمانية ويدفع لها ضريبة البشماق أو السباط لخزينة الدولة ويخضع أمين الجماعة البرانية لأمين بمدينة الجزائر[1]، ومن بين المجموعات البرانية في مدينة الجزائر:

أ-الجيجلية:

ربطتها علاقات خاصة بالأتراك العثمانيين منذ استقرار الإخوة بربروس (عروج وخير الدين) ومن معهما بجيجل وانتقالهم معهم لمدينة الجزائر حيث شاركوا إلى جانبهم في دحر القوات الإسبانية في كل من مدينة الجزائر وبجاية وقمع تمرد ابن القاضي مما جعل خير الدين يعترف بفضلهم ومجهوداتهم ويمنحهم مكانة لدى الدايات وحصول الكثيرين منهم على ثروات وامتلاك المخابز والمنازل واختصت هذه الجماعة بالعمل في المخابز والمطابخ[2]، وهو ما يؤكده فاتح بالعمري في رسالته قائلا:" يزودون أفران الداي ويصنعون الخبز لليولداش"[3].

ب-البساكرة:

الاسم الحقيقي لبسكرة هو سكره قبل حلول بسكر بن كاهل بن لؤي وينتهي نسبه في إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام، فلما مر بها أعجبته فسأل عنها قالوا سكر، فقال: لابد أن نبني بها ديار.[4]

---

[1] – بلبروات بن عتو، مرجع سابق، ص 126. أنظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 60. وانظر كذلك، كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 19.

[2] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص 101.

[3] – فاتح بلعمري، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والتاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016-2017، ص 299.

[4] – محمد العدواني، مصدر سابق، ص 301.

تكونت من أهالي مناطق الزيبان ووادي ريغ وسوف وتوقرت، قدموا إلى مدينة الجزائر طلبا للعيش وأوكلت لها بعض المهن المتواضعة كإحضار المياه إلى المنازل وتنظيف قنوات الصرف من الأوساخ وحمل السلع والبضائع والعمل في ورشات المرسى والحراسة ليلا.[1]

يشرف على شؤونها أمين ويعرف بالبسكري سيدنا: حيث كان له نفوذ وكلمته مسموعة بحيث يفرض غرامات ويحدد الكراء الشهري لـ 24 دكانا تابعا لجماعته ويتقاضى مقابل ذلك من البايلك 14 خبزة وقلة زيت وكيسين من الحبوب و04 أمتار من القماش كل شهرين ويستخلص عن كل بسكري عامل بمدينة الجزائر 50 بوجو.[2]

ج-الميزابية:

نسبة لوادي ميزاب، به ستة بلدان أو قرى أكبرها غرداية، سكانها بربر ويختلفون مع العرب في مسائل الدين[3] (إباضية).

تضم هذه الجماعة سكان وادي ميزاب ومناطق الشعابنة وورقلة والقرارة، يقول المصعبي في رحلته "بحلول الأتراك بالجزائر توطدت العلاقات بينهم وبين قرى بني ميزلب لظروف هذه الأخيرة (تزايد عددهم – تضاؤل زراعتهم بسبب الجفاف) اغتربوا نحو الشمال. كما شاركوا في صد الحملة الإسبانية ضد مدينة الجزائر بتخليصهم لكدية الصابون ونشاطاتهم التجارية والصناعية وبذلك توطدت العلاقات بينهما واستحداث الداي لهم منصب الأمين.[4]

---

[1] – علي عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 266. انظر كذلك: كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 19. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية ...، مرجع سابق، ص 60. انظر كذلك: شارل أندري جوليان. وانظر كذلك: ج. أوهانسترايت، مصدر سابق، 34، مرجع سابق، ص388.

[2] – أنظر: فاتح بلعمري، مرجع سابق، ص 300. ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص 10.

[3] – الحاج ابن الدين، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين، تأليف وتحقيق أبو القاسم سعد الله، دون طبعة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 91.

[4] – الشيخ إبراهيم بن بحمان اليسجني رحلة المصعبي، تحقيق وتعليق يحيى بن يهون حاج امحمد، دون طبعة، دون دار نشر، دون مكان نشر، دون تاريخ، ص 17-18.

تخصص أفرادها في تسيير وإدارة الحمامات وكان منهم البقالون والجزارون وموزعي اللحوم وصانعي الحلويات[1]، ونظرا لهذا فقد تزايد عدد بني ميزاب إلى حوالي الألف شخص في مدينة الجزائر في السنوات الأولى من القرن 19م، وتزايد ثرواتها وارتفاع الرسوم المفروضة على جماعة بني ميزاب بالأسواق وارتفاع دخل أمينها إلى 450 ريال بوجو حتى صار ينظر إليه أنه أغنى من باي التيطري.[2]

ومن الملاحظ أن غنى جماعة بني ميزاب يعود إلى تفانيها وإتقانها للعمل وإخلاصها للحكام ووقوفها إلى جانب الأتراك العثمانيين ضد الكراغلة (إفشاء سر اجتماع الكراغلة بحصن الإمبراطور بغرض السيطرة على الحكم).

د-القبائل:

أغلب أفرادها وافدة من المناطق الجبلية القريبة مثل جرجرة والبليدة وبسبب الظروف الصعبة التي يعيشها سكانها في مناطقهم الجبلية. اختار هؤلاء الهجرة إلى مدينة الجزائر بحثا عن العمل[3]. وفي هذا الصدد، كتب وليم سبنسر مايلي: "أما القبائل وبنو عباس والشاوية فقد توافدوا على المدينة استخدموا كخياطين ورعاة وخدم للبيوت[4] في حين أشار عبد القادر حليمي للعمل بالتجارة في الزيوت والقيام بالخدمات العامة لدى القناصل الجانب[5]. إضافة إلى وجود فرقة عسكرية (200 جندي) تعمل ضمن الجيش الإنكشاري يدعون بالزواوة ويتقاضون الراتب لاستخدامهم حسب الحاجة سواء في المدينة أو الريف.[6]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، مرجع سابق، ص60. انظر كذلك: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 83-84. وانظر كذلك شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 338.

[2] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص 100.

[3] – بلبراوات بن عتو، مرجع سابق، ص 129.

[4] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 84.

[5] – عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 266.

[6] – جمال قنان، مرجع سابق، ص 126.

إن ما هو ملاحظ على هذه أنها الفئة الوحيدة التي سمح لها بالعمل ضمن الجيش الإنكشاري وتقاضي الجرة منهم.

وما يمكن استنتاجه عن فئة البرانية بمختلف طوائفها أنها تتميز بأوضاعها السيئة وظروفها الصعبة، حيث يعيشون من دخل مهنهم المتواضعة ذات الأعمال الشاقة والمتعبة وظروف عيشهم الصعبة ومداخيلها البسيطة وتعرضهم للأمراض والأوبئة.

إن جماعات البرانية هي فئات عرقية أكثر منها حرفية تتحكم فيها الظروف الصعبة لهذه الفئات التي تمتاز بكثرة النشاطات وقلة الامتيازات.

هـ-العبيد السود:

استقدموا عن طريق القوافل التجارية ومن إفريقيا جنوب الصحراء وكانوا موضوع تجارة مربحة[1]، يتم مقايضتهم مقابل البضائع التي يبيعونها[2]، وعرفت رواجا بانضمام الجزائر للدولة العثمانية بحيث ارتفع عددهم بمرور الوقت وأصبحوا يشكلون فئة اجتماعية في عدة في عدة مدن جزائرية ومنها مدينة الجزائر[3] للعمل في المنازل خاصة وبعض الأعمال المتواضعة لدى فئة الأتراك والكراغلة وحضر مدينة الجزائر لهم قائد يعرف بقائد الوصفان أو العبيد[4] وبتزايد عددهم حيث كان يتم نقل ما بين 150 إلى 500 عبد سنويا، كما أنشأ منهم الأتراك العثمانيون بعد تحريرهم جماعات عسكرية عرفت باسم مخزن العبيد.[5]

المطلب الثالث: فئة أهل الذمة

اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده من الخلفاء أن اليهود والنصارى هم أهل الذمة ممن اعترف الإسلام بهم وعقد معهم الذمة، فالذمة في اللغة بمعنى العهد والأمان والضمان.

---

[1] – صالح عباد، مرجع سابق، ص 360.

[2] – محمود المشهداني، مرجع سابق، ص 426.

[3] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص8.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، مرجع سابق، ص 61.

[5] – صالح عباد، مرجع سابق، ص 360.

أهل الذمة: هم المعاهدون من النصارى واليهود ممن يقيم في دار الإسلام، وسمي أهل الذمة ذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم.

الذمة في الفقه الإسلامي: العهد الذي يعطى للقوم الذين لم يدخلوا في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم ولا يسترقون ويؤمنون على حياتهم وحريتهم وأموالهم وعبادتهم.[1]

ومن اختار من المدعوين للإسلام الدخول في الذمة بإعطاء الجزية يكون لهم حكم المسلمين على ما يعقدونه من الشروط واعتبار الشارع في الجزية المصلحة الأخروية رجاء إسلامهم أو الإسلام من يولد لهم.[2]

وعقد الجزية يؤمن الذمي على حياته وحريته وأمواله وعبادته وألزمه شروطا في مقابل ذلك من قتال مع العدو والخروج عن أحكام السلطة...، وتضم فئة أهل الذمة اليهود والمسيحيين.

1-اليهود:

ذكر العدواني في تاريخه أن اليهود من الأسباط أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان فلما خرج عليهم بخت نصر وخرب بيت المقدس فتفرقوا في جميع الأوطان حتى وصلوا المغرب ولم تجتمع منهم جماعة إلا أولاد يهوده ونصف من أولاد روبيل وثلث أولاد شمعون...[3]، حيث حل اليهود ببلاد المغرب نتيجة غزو المصريين للأرض المقدسة وأخذهم لليهود أسرى إلى منطقة واد النيل ومنها تنقلوا إلى شمال إفريقيا وذلك خلال العهد الفينيقي.[4]

---

[1] – ماجد بن صالح المضيان، أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة مابين 1520-1924، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى بمكة، 1995، ص 14.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق: كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، دون طبعة، الدار التونسية للنشر، ج1، دون مكان نشر، 1976، ص65.

[3] – محمد العدواني، مصدر سابق، ص 190

[4] – عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دون طبعة، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص 22.

ومن خلال ذلك يتضح أن الوجود اليهودي ببلادنا يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وتحكمت فيه ظروف سياسية وعسكرية جعلتهم يسعون للتخلص من القيود بهجرتهم لبلاد المغرب القديم.

كما عرفت بلادنا هجرات يهودية من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وهولندا وإسبانيا تمت ما بين 1342 و1462م، وكان استقرارهم موزعين على مختلف المدن الجزائر، عثير، بسكرة، تلمسان، تيارت، وهران، الأغواط، مسيلة، توقرت. في حين الهجرة من إسبانيا ما بين 1391 و1492م وأقاموا أساسا بمدينة الجزائر ووهران وتلمسان وقسنطينة وملیانة وبجاية وبوصولهم شكلوا تجمعات سكانية منعزلة.[1]

تضاعف عدد اليهود بمدينة الجزائر خلال هذه المرحلة الثالثة وذلك بعد سقوط غرناطة أخر معاقل المسلمين بالأندلس وما مارسه الإسبان المسيحيين على المسلمين واليهود من إجراءات تعسفية إما التنصير أو الإسترقاء مدى الحياة أو المون مما جعل كثرة المهاجرين إلى مختلف بلدان المغرب والمشرق العربيين وناهز عدد اليهود المهاجرين 02 مليون يهودي. خرجوا من إسبانيا وتوزعوا على بلدان المغرب العربي خاصة وبلدان المشرق العربي ثانيا.

عرف عدد اليهود بالجزائر ارتفاعا ملحوظا خلال القرن 17م وأوائل القرن 18م[2]، وغادرت عدد من العائلات الجزائر إثر الاضطراب الذي عرفته الجزائر عام 1805 والتي أسفرت عن مقتل الداي مصطفى وبوشناق.[3]

---

[1] – عيسى شنوف، نفس المرجع، ص 27. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص283–284. وانظر كذلك: أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 90–91. وانظر كذلك: مؤيد محمود حمد المشهداني، مرجع سابق، ص 427. وانظر كذلك: كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص ص 17–18.

[2] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 92.

[3] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 92.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي عرفتها الجزائر في أواخر القرن 18م وأوائل القرن 19م إلا أن أعدادهم كانت كبيرة حيث تراوحت ما بين 20 و30 ألف ببلاد الجزائر وفي مدينة الجزائر حوالي 10 آلاف نسمة.[1]

استقروا في مدينة الجزائر بالجزء الأسفل من شارع السوق الكبيرة خاصة بين الشارع والبحر كما نجدهم بالقرب من باب الواد ومقابل السور حيث يوجد كنيسهم الرئيسي.[2]

ويمكن التمييز بين طائفتين من اليهود بمدينة الجزائر فاليهود الأهالي: يعرفون بالتوشافيم وهم مهاجري أراغون وقشتالة 1391م، تميزوا بهيئتهم ولباسهم فهم حاملي العمائم وهم أشد الفئات تواضعا.

اليهود الإسبان: يعرفون بالمغيوراشيم وهم مهاجري إسبانيا وإيطاليا، تميزوا بوضعهم القلنسوة كما يعرفون بيهود قرنة ومتأثرة بالحضارة الأوربية. حافظوا على هذه التقاليد إلى غاية القرن 20م وكان هناك مركب نقص من التوشافيم اتجاه الميغوراشيم[3]. وقد سمى أبو القاسم سعد الله التوشافيم بالصفرديين بين المحافظين على تقاليدهم الاجتماعية والدينية في وجه الحضارة الأوربية.[4]

- يتمتعون بالحرية الدينية حيث يملكون ستة معابد في مدينة الجزائر.
- يقيمون في حارات خاصة ومنفصلة عن باقي الأحياء.
- يفرض عليهم لباس خاص.
- لا يحق لهم حمل السلاح في مدينة الجزائر ولا امتلاك الدواب.
- يتكلمون العربية ويكتبون بالعبرية.[5]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، مرجع سابق، ص 58.

[2] – كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 18. انظر كذلك: لوسان فلنري، مرجع سابق، ص 38.

[3] – عيسى شنوف، مرجع سابق، ص 37.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954، ط1، دار الغرب الإسلامي، ج6، بيروت 1998، ص 401.

[5] – لوسات فلنزي، مرجع سابق، ص 32. انظر كذلك: فاتح بلعمري، مرجع سابق، ص 298.

- لا يحق لهم الخروج ليلا بمشعل وإنما بشمعة.
- خلع نعالهم بمرورهم أمام المدرسة أو المسجد.
- يمنعون زيارة الأماكن العمومية ما عدا المتاجر العامة.
- فسح المجال أمام المسلمين والتنحي لهم للعبور سواء في الطريق أو منابع الماء.[1]

وعلى الرغم من تلك القوانين والإجراءات التي وضعتها السلطة الحاكمة على هذه الفئة الاجتماعية إلا أنها ظلت مميزة وذات وضع خاص اكتسبته بفعل تعاملها مع الأسواق الداخلية والخارجية وتصريف غنائم البحر ومنتجات بلاد السودان وتلبية طلبات الحكام المالية.[2]

ومن اليهود الصرافون والأمناء حيث أوكل لهم الدايات صك النقود وتعييرها. وأوكل لهم السكان الأعمال الرذيلة مثل حمل السلاح ودفن المحكوم عليهم بالإعدام.[3]

كانت معاملة اليهود حسنة من قبل السكان ومن ممثلي السلطة غلا أن تعاملاتهم الاقتصادية بالربا واستغلالهم السكان كان يؤدي إلى احتقارهم كما يتعرض أبنائهم للإيذاء من قبل أبناء المسلمين أما معاملتهم من طرف السلطة فهي غير مستقرة والمنافع متبادلة بينهم بحيث يقدمون الهدايا والرشاوي لتغيير الأوضاع السياسية كتبديل البايات وفي مقابل ذلك يحصلون على امتيازات ضخمة في التجارة الخارجية.[4]

اندمج اليهود في حياة العامة بمدينة الجزائر وغيرها من مدن الإيالة نظرا لثقة الحكام فيهم وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم لكون أغلبهم ذوي أصول أندلسية ويتشابهون معهم

---

[1] – عيسى شنوف، مرجع سابق.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، مرجع سابق، ص 60. انظر كذلك: حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 120.

[3] – عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 268.

[4] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 329.

في طرق العيش واشتغالهم في المهن اليدوية ولم يعد يميزهم عن غيرهم من السكان سوى ملابسهم ذات اللون القاتم ودفع ضريبة الرأس "الجزية" لمقدمهم.[1]

كما أدى تغيير عميق في حياة الجالية اليهودية في أواخر العهد العثماني بقدوم يهود ليفورن[2] ومن موانئ أوربا وزيادة اتصالاتها التجارية مع أوربا بهدف الحصول على الثروة والنفوذ[3]. وهو ما جعل الأهالي يحتقرونهم ويتهمونهم بالتواطؤ مع الأعداء في استيلاء الإسبان على وهران وهو ما جر عليهم عدة انتفاضات خلال سنوات 1801، 1804، 1805، 1815 إلا أن انتفاضة 1805م كانت أشدها على الإطلاق، إذ انتهت بمقتل الداي مصطفى باشا كما لقي مقتل اليهود بوشناق على يد إنكشاري يدعى "يحيى" مخاطبا إياه: "خذ يا ملك الجزائر". نظرا لتحكمهم في اقتصاديات البلاد وبذلك هاجرت 200 عائلة نحو مدينة ليفورن و100 عائلة نحو تونس[4]. حيث يتم في هذه الثورات نهب حارة اليهود وأخذ أموالهم وممتلكاتهم.

ويؤكد بول أودال أن صورة اليهودي الذي يمتاز بالهيمنة والجشع في التجارة والمال وقذارة تطبعهم أجسادا ومساكن وأحياء ومعاملاتهم الربوية وغشهم واستغلالهم للفرص انتتجت صورة لكراهيته بين الناس.[5]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، ص103.

[2] – يهود ليفورن: نسبة لمدينة ليفورن الإيطالية وتضم رؤساء العائلات الكبرى (بوشناق، سرور، بوشارة، كوسين، بكري أو أبو كاية والتي سيطرت على الحياة السياسية اليهودية بمدينة الجزائر وجعلت المقدم منها لتنشيط التجارة بين ليفورن ومرسيليا والجزائر. انظر عيسى شنوف، مرجع سابق، ص 38–39. بينما نشاطاتها الدينية فتخضع لتأشير كبار الحاخامات العلماء، أنظر: عيسى شنوف، نفس المرجع، ص ص 38 – 39.

[3] – فاتح بلعمري، مرجع سابق، ص 298. انظر كذلك: أحمد شريف الزهار، مصدر سابق، ص ص 87 – 88.

[4] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص 104. انظر كذلك: أرزقي شويتام: مرجع سابق، ص 92–93. انظر كذلك: عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 75. انظر كذلك: شارل روبير أجيرون، مرجع سابق، ص 13.

[5] – بول أودال، صورة الجزائر أرضا وإنسانا لدى رحالة فرنسي 1899. ترجمة عمر بن قينة، دون طبعة، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص ص 153–154.

وعلى الرغم من تلك الثورات والانتفاضات التي قادها الجند الإنكشاري ضد فئة اليهود إلا أنها تعتبر من أهم الفئات الدخيلة على المجتمع الجزائري نظرا لمكانتها لدى السلطة الحاكمة وتفضيل الأندلسيين التعامل معها. لأن معظمهم من مهاجري الأندلس وإتقانهم للمهن والحرف اليدوية ولولا الطباع اليهودية من جشع وحب المال والغش وارتشاء بعض أفرادها للسلطة لما حدثت تلك الانتفاضات.

لم يكن كل اليهود أغنياء وأصحاب جاه في مدينة الجزائر على غرار يهود القرنة والميغوراشيم التي احتكرت التجارة الداخلية والخارجية وكونت رؤوس أموال طائلة وكسبت ود الدايات. بل كانت هناك شرائح يهودية فقيرة تعيش في مهن ذات دخل ضعيف كإعادة بيع بعض الأدوات كما أن أحيائها وسكانها كانت فقيرة.

2-فئة المسيحيين:[1]

تتألف هذه الفئة من المسيحيين الأحرار والأسرى.

أ-المسيحيون الأحرار:

تتألف من التجار ورجال الدين المسيحيين والقناصل وبعض الرحالة والأطباء ويقيمون بمراكز المدن الكبرى على غرار مدينة الجزائر[2] وعددهم ضئيل جدا بسبب سيطرة اليهود على التجارة وقيامها بدور الوسيط بين الجزائر ودول أوربا وتوتر العلاقات بينهما واشتداد أعمال القرصنة من الطرفين مما أثر على المبادلات التجارية لذا لم يتجاوز عدد رعاياها المقيمين بها سنة 1778م 22 شخصا[3]. لذا كان الوجود الأوربي بالجزائر مقتصرا على القناصل وبعض التجار لذا لم تهتم بها المصادر.

---

[1] – المسيحيون: معتنقو الديانة المسيحية وتسمى النصرانية وأهلها نصارى وعن أصلها فيقال لهم بني الأصفر وذلك لأكلهم العيص فهو أصفر اللون. انظر كذلك: محمد العدواني، مصدر سابق، ص 270.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، مرجع سابق، ص61.

[3] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص94. انظر كذلك: شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص340.

أما عن القنصلية: فهي الجهاز الرئيسي في البعثة الدبلوماسية تنسق فيه أعمال وقضايا المواطنين التابعين للدولة الموفدة.[1]

إن الدول التي تربطها معاهدات مع الجزائر تحتفظ بعلاقات دبلوماسية يمثلها وكلاء في الإيالة يطلق عليهم لقب القنصل العام يتمتعون بالحقوق والامتيازات والحصانة التي يعترف الباب العالي للوزراء المفوضين في القسطنطينية وبتقديم القنصل لأوراق اعتماده في الجزائر يقدم هدايا للداي وكبار الموظفين والضباط مبادرة مجاملة والإعراب عن التقدير وأصبحت بمرور الوقت إلزامية وتسمى هدية السنتين وبوصول القنصل إلى الجزائر تطلق المدافع 05 طلقات تحية له وعندما يغادر كذلك يحيى بـ 05 طلقات ومتى بقيت السفينة القنصلية أو الحربية يقدم لها الطعام واللحم كهدية ثم يسددها القنصل بعد ذلك 40 دولارا على التحية و14 دولارا في مقابل هدية الطعام.[2]

وعن مسؤوليات القناصل ذكر ارزقي شويتاكم مايلي:

- تقييد أسماء الوافدين في سجلات قناصلهم بمجرد وصولهم.
- إقامتهم في فنادق المدينة وهي بمثابة مراكز تجارية تحت إشراف قناصلهم.
- إشراف القناصل على تسوية وضعياتهم الجمركية والدفاع عن حقوقهم وحل خلافاتهم.

يقيم القناصل في شارع خاص بهم بالقرب من باب الجزيرة إلا أنهم يفضلون الإقامة في المنازل الخاصة بهم في فحوص المدينة.

كما كان لهم قساوسة وأماكن للعبادة لأداء شعائرهم الدينية كما خصصت لهم أماكن لدفن موتاهم بمدينة الجزائر وتعرف بمقبرة المسيحيين أو مقبرة القناصل.

---

[1] – هاني الرضا، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية تاريخها، قوانينها، وأصولها. ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2006، ص 53.

[2] – وليام شالر، مذكراته، مصدر سابق، ص 66.

تجسس القناصل ورجال الدين لصالح حكوماتهم وأعدوا مشاريع غزو الجزائر من خلال إعداد تقارير مفصلة عن أوضاع الجزائر وحرضوا على غزوها. لذا كان دورهم سلبيا.[1]

ب-الأسرى المسيحيين:

إن قضية الأسرى والرق[2] قديمة وكانت نواة علاقات التفاوض بين الدول والأمم فإما يصبح هؤلاء عبيدا أو يتم افتدائهم بدفع مبالغ مالية أو عن طريق التفاوض.[3]

إن مدينة الجزائر كانت من أكبر المدن التي يوجد بها الأسرى لشراسة الحرب التي تخوضها ضد أوربا والتي تشكل المصدر الأساسي للأسرى وصارت المدينة في مرحلة معينة مكتظة بهم[4]. حيث تعطينا بعض التقديرات لعدد الأسرى في مدينة الجزائر وذلك في سنة 1587 قرابة 25 ألف أسير وفي سنة 1635 ارتفع عددهم إلى 30 ألف ومن 10 آلاف أسير في سنة 1700م إلى 2000 سنة 1738 ليرتفع العدد إلى 7 آلاف سنة 1750م ثم يتأرجح بين زيادة ونقصان حتى سنة 1830م ما بين 500 و122 أسير في ذات السنة 1830م.[5]

---

[1] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 197-199. انظر كذلك: بليل رحمونة، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564-1830، شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2010-2011، ص 195.

[2] – الرق: هو الملك والعبودية والرقيق: هو العبد المملوك. مأخوذة من الرقة ضد الغلظة لأن العبد يرق لسيده ولا يغلظ عليه بحكم الملكية وحكمه الجواز لقوله تعالى" وما ملكت أيمانكم" سورة النساء. الآية 76.ومنشأ الرق الحروب والفقر والاختطاف والقرصنة وأجازه الإسلام بالحرب فقط. انظر كذلك: أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، دون طبعة، دار الحديث، القاهرة، 2004، ص 450-451.

[3] – سعيود إبراهيم، جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوربيين في الجزائر خلال العهد العثماني، مقاربة تاريخية، دون طبعة، دون دار نشر، دون مكان نشر، دون تاريخ، ص 155.

[4] – خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري بقسنطينة، 2006، ص 751.

[5] – حنيفي هيلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ص 69. انظر كذلك: خليفة حماش، مرجع سابق، ص 751.

بالنظر للإحصائيات التقريبية المقدمة يتضح أنها مرت بمراحل بحيث يتغير عددهم من فترة لأخرى نظرا لارتباطها بالنشاط البحري في البحر المتوسط.

- فترات السلم والأمن لعبت دورا في تناقص عدد الأسرى أما في فترات الصراع كان عددهم في تزايد.[1]
- ازدياد الكوارث والأوبئة والأمراض خاصة وباء 1633 ووباء 1654م حيث راح ضحية الوباء الأول(3/1) ثلث سكان المدينة وفي الوباء الثاني ذهب ضحيته (½) ونصف السكان.[2]

وتعود أصول الأسرى إلى مختلف الدول الأوربية والأمريكية لطبيعة العلاقات الجزائرية بالدول الأوربية ومدى تفوق أسطولها البحري في البحر المتوسط.[3]

كان في مدينة الجزائر سوق مخصصة لهذه التجارة تسمى سوق البشماقجية أو الباراستان وهي ساحة مربعة تحيط بها 04 أروقة مغطاة يجتمع فيها الدلالون والزبائن والأسرى ويحيط بها 36 دكانا ولهذه السوق بابان أحدهما باتجاه الجنوب واين سوق الرصايصية وآخر على جهة الغرب ويقع فيها سوق البشامقجية. نشأت هذه السوق 1573 على عهد حسن فنزيانو.

ويتم اقتياد الأسرى إلى منزل الداي ليختار منهم (8/1) من ذوي الطبقات الرفيعة والباقي يتم بيعهم في سوق البادستان وقبل البيع تفحص أسنان الأسرى وأيديهم وعضلاتهم وتطرح عليهم أسئلة عن أسمائهم وعملهم قبل أسرهم ووضعهم الاجتماعي، إلا أن معظمهم يقللون من أهميتهم حتى لا يطالبون بمبالغ كبيرة لافتدائهم وتتم عملية البيع بعد صلاة

[1] – سعيود إبراهيم، مرجع سابق، ص 157.

[2] – عطلي محمد الأمين، مرجع سابق، ص 101.

[3] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص ص 95-96.

الظهر بحضور الرياس وبعض الضباط لمعاينة العملية البيع وكذا الدلال أو السمسار ليذكر مزاياه وثمنه.[1]

إن ثمن بيع العبد في سوق المدينة يكون حسب العرض والطلب ومواصفات الأسير ومكانته الاجتماعية ووظائفه قبل أسره فبإمكان العبد دفع فديته بنفسه لممارستهم لنشاطات تدر عليهم أموالا وهم أسرى وإذا أحسن التصرف بعدم تبذيرها في السهرات والمجون فمنهم من عمل على ظهر السفن مجدفين وآخرون كانوا في خدمة الخواص ولخدمة بيوتهم الريفية في الصيانة والتنظيف وجلب المياه[2]. أو الخدمة في قصر الداي والقنصليات حيث تدفع لهم مقابل عملهم أجورا يتلقاها عليهم أسيادهم، كما تكمن منافعهم في الخدمة المنزلية خاصة لدى الأسر الغنية خاصة الإماء أو الخصيان ويسمى بقائد الدار أو يتم افتداء الأسير من طرف عائلته أو المنظمات الخيرية من خلال إجراء مفاوضات بين الجهات التي تتقدم بالفدية والسلطات الجزائرية.

إن عملية بيع الأسرى كانت تتم بواسطة عقود تحرر في المحكمة الشرعية يذكر فيه البائع والمبتاع والعبد أو الأسير وثمن البيع.[3]

يتميز الأسرى بلباسهم الخاص ويعرفون بشاشية حمراء توضع على رؤوسهم، والتي تعني الحمام لأنهم كانوا يلزمون بالإقامة ليلا في سجون عامة يودعون في الحمام Bognes أثناء الليل ولارتفاع عددهم دفع الحكومة لتخصيص مباني لهذا الغرض واحتفاظها بالتسمية شبيهة بالمنازل السكنية تحتوي على بهو يتوسط المبنى تحيط به أروقة مقسمة تأوي الواحدة

---

[1] – محمة عائشة، الأسرى الأوربيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر والحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين 16 و17 م، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، قسم التاريخ، 2011 – 2012، ص 16 –18. انظر كذلك: كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 54. انظر كذلك: حنيفي هيلالي، مرجع سابق، ص74. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني النظام المالي، ص 46.

[2] – كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 55.

[3] – خليفة حماش، مرجع سابق، ص ص 752–755. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية...، مرجع سابق، ص 54.

ما بين 15 و20 أسيرا وهي خالية من الأثاث ما عدى حصائر مصنوعة من الحلفاء تستخدم كفراش للنوم. وأهم السجون: السجن الكبير تقع في شارع السوق الكبير بالقرب من باب عزون أسسه خير الدين يمتاز باتساع مساحته وكثرة عدد الأسرى، يضم ما بين 500 و2000 أسير أثناء حكم حسن فنزيانو. [1]

سجن الباستار أقل من الأول ومقسم لغرف ويضم كنيسة مخصصة للأسرى ويترأس عليه المبعوثين الكنيسيين لتقديم الدعم الروحي ويضم ما بين 400 و500 أسير.

وبتزايد عددهم أضيفت عدة سجون أخرى منها سجن حمودي، سجن الغاليران، سجن علي بتشين يتسع لـ 500 أسير وسجن شلبي، سجن سانتاكترين، وسجن الديوان، سجن الأسود ويوجد به حانة لقضاء أوقات الفراغ ومنهم من كان يقيم في بيوت الخواص عند مالكه.[2]

أما عن معاملة الأسرى الأوربيين بمدينة الجزائر فكانت حسنة إذ كانوا أمنين على أرواحهم يسجنون في سجون بها معابد صغيرة وفيها قساوسة وبها ملجأ للعجزة وحانة للشراب مع احترام عطلة يوم الأحد[3]. ويواصل ذكره للكنائس الخاصة بالأسرى وعددها 05 كنائس واحدة في محتشد الباشا واثنتان في محتشد علي بتشيني والرابعة يحضرها رهبان الإرساليات لإقامة الصلوات وفي أزمنة الوباء يقيمون في المحتشدات ليعالجوا الأسرى ويلقنونهم العقيدة عند الموت كما يحضرها التجار كما سمح لهم بإقامة المستشفيات والمقابر (مقبرة المسيحيين بباب الوادي ويشهد لوجي دوتاسي عن المتدينين في الجزائر فيقول "إن التسامح موجود في الجزائر ويستحق سكانها الثناء عليه حكومة وشعبا" ويذكر فونتير دو بارادي "أن العبيد المسيحيين بالجزائر كانوا لا يحملون الأغلال ولهم حق العوائد والغذاء الجيد كما كانوا

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية...، مرجع سابق، ص 54.

[2] – سعيود إبراهيم، مرجع سابق، ص ص 157–158. انظر كذلك: محمة عائشة، مرجع سابق، ص 23.

[3] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص 361.

يمنحون الألبسة الجيدة والوظائف مثل الكتابة مثل كبير كتاب العبيد وإن أسلموا كان لهم الحق في ارتقاء المناب كضباط الجيش.[1]

إن معاملة الأسرى بالجزائر كانت نابعة من أمور الدين والعمل بمقتضاها بحيث طالب الإسلام أن يعامل الأسير المعاملة اللائقة بشرف الإنسان وكرامته فحرم ضربه وقتله وإهانته وأمر بالإحسان إليه حيث يقول الله تعالى: " ﴿...**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا** ﴾[2]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفونهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه" رواه مسلم برقم 38– 39.[3]

وما يدحض ادعاءات المؤرخين الأجانب عن معاملة الأسرى ما كتبه الرحالة الألماني ج. أوهانسترايت قائلا: "الأسرى عددهم قليل جدا بمدينة الجزائر ويحضون باحترام الأتراك ويكونون في حماية إحدى الدول الأوربية. "ويقول في موضع آخر: "يستطيع الأسير أن يحصل على حكم عادل عن أية معاملة سيئة يتلقاها من سيده عندما يثبت ما يؤكد تظلمه".[4]

ومن بين الأسرى الذين نشروا مذكراتهم عن الجزائر "تيدنا" واصفا إياهم بأنهم "عبيد مساكين" وبوصولهم إلى معسكر وضع في السجن مع العبيد لتلك الليلة التي وصلوا فيها

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي، نفس المرجع، ص ص 361–362.

[2] – القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 36.

[3] – أبو بكر جابر الجزائري، مصدر سابق، ص 451.

[4] – ج. أوهانسترايت، مصدر سابق، ص 34 و76.

متأخرين قائلا: "يعاملون معاملة حسنة مقارنة مع عبيد الجزائر." كما وصف باي معسكر: " فهو شديد الإنسانية وذو سلوك طيب وثقافته الواسعة ويحب الأجانب".[1]

كما عينه الملك خزندار وقدم له ملابس كاملة مصنوعة من الصوف مطرزة بالذهب وزوج سراول على الطراز التركي وحزام جديد من الحرير".[2]

وبذلك يتضح أن الأسرى الذين أقاموا في الجزائر وكانوا موضوعيين وغير حاقدين على الجزائر. أكدوا بأن الأسر في الجزائر غيره في أوربا بحيث يعاملون المعاملة الحسنة وإنما كانت تلك الادعاءات نابعة من رجال الدين والغرض منها استعطاف الشعوب والحكومات المسيحية والمنظمات الخيرية من أجل جمع الأموال وافتكاك أسراهم. وإن المعاملة الحسنة للأسرى دفعت بالكثير منهم إلى اعتناق الإسلام طواعية ومنهم من تقرب من المسلمين بالجزائر عن طريق المصاهرة ومن مبادئ السمحة أنه بمجرد أن يسلم العبد أو الأسير إلا ويعتق ويحرر من رق العبودية مصداقا لقوله عز وجل: " **فَكُّ رَقَبَةٍ** ".[3]

ومن أشهر الأسرى في الجزائر: ميغل دي سيرفانس سآفيدرا. ولد في قلعة هيناريس بقشتالة الواقعة شمال شرقي مدريد في 29 سبتمبر 1547م في عائلة فقيرة تضم أب جراح هو رودريغو دي سيرفانس وأمه لينور وهو رابع ستة أخوة، درس بقلعته التي تضم أكبر الجامعات وتفوقت موهبته نحو فنون الأدب وتذوق الشعر كما درس النحو والبلاغة بمدريد وانضم للجيش عام 1570م بعد تركه لمقاعد الدراسة وشارك في موقعة ليبانت الشهيرة 1571م ومواجهة الجيش العثماني بقيادة علي باشا وأصيب فيها ثم تلقى العلاج بجزيرة صقلية وبحصوله على إجازة أثناء عمله في الجيش وحمل معه رسالة من قائد أسطول التحالف المسيحي في ليبانت إلى ملك إسبانيا فيليب الثاني يقترح بتكليف سيرفانتس بقيادة

---

[1] – تيدنا، مذكراته (الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني)، ترجمة عميراوي حميدة، دون طبعة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص ص 47-54.

[2] – تيدنا، نفس المصدر، ص 56.

[3] – القرآن الكريم، سورة البلد، الآية 13.

إحدى حملات في اتجاه إيطاليا إلا أنه وقع في الأسر ومعه شقيقه ورسائله لدى الرايس مامي أرناؤوط وذلك في خريف 1575 ومحاولته الفرار عدة مرات واشتراه الداي بـ 500 أوقيه[1] وتوفي في 22 أو 23 أفريل 1616م.

أما عن أعماله الأدبية فهو الأديب الإسباني الكبير أسر في الجزائر مابين سبتمبر 1575م وأكتوبر 1580م وتجلت أعماله الأدبية في روايته المشهورة دون كيشوت 1605-1615 ومسرحياته "في سجون الجزائر" و"السلطانة العظيمة" و"معاملات في الجزائر" والإسباني الشجاع".[2]

إن ما يمكن استنتاجه في نهاية هذا المبحث والذي يتحدث فيه عن الفئات الاجتماعية المكونة لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني هو التنوع العرقي لهذا المجتمع فمنهم الأتراك ومنهم العثمانيين من غير الأتراك الإنكشاريين والأعلاج من باقي الدول الأوربية واعتناقهم للإسلام وأندلسيين وسكان الحضر من عرب أمازيغ ومنهم الوافدين من بلدان عربية وكذلك سكان برانية وافدة من أجل البحث عن العمل من مختلف المناطق الجبلية والسهلية ومن المناطق الداخلية بالإضافة إلى أهل الذمة من يهود مهاجرين إليها مع الأندلسيين وجالية أوربية أغلبها أسرى.

- التنوع الفكري لمختلف الفئات بما أنها تتنوع عرقيا.
- التنوع الحرفي وممارستها لمختلف الأنشطة فهي تقريبا تمتاز بطابع الخاصية بحيث كل فئة مطالبة بإنجاز وشغل وظائف محددة أو حرف معينة دون غيرها.
- كثرة الجنس الذكري على الجنس الأنثوي بالنظر إلى أن معظم فئة الإنكشارية وفدوا على المدينة دون الإناث وكذلك فئة البرانية التي تمتاز بأنها هجرة ظرفية من أجل

[1] – محمد عبد الكريم أوزغلة، شهادات ومشاهد الكتابة ميغل دي سيرفانتس في الجزائر 1575-1580. دون طبعة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص ص 19- 34.

[2] – محمد عبد الكريم أوزغلة، نفس المرجع، ص ص 17-18.

العمل ثم تعود لمناطقها الأصلية. وكذلك بالنسبة لفئة الأسرى المرتبطة بالغزو البحري فنادرا ما يكون فيها المسيحيات.

وعلى الرغم من التنوع العرقي لفئات مدينة الجزائر إلا أنه كان يميزها الانسجام بين مختلف الفئات، فلا تحدث فيها الفتن والاضطرابات بين فئة وأخرى إلا نادرا مثل التي حدثت بين الإنكشارية والكرغلية لأنه كان يحكمها نظام محكم.

بالنظر إلى التنوع العرقي تظهر فيه ظاهرة الطبقية بين الفئات الاجتماعية بحيث الفئات التي في قمة الهرم لها كثرة الامتيازات وقلة الأشغال في حين التي في قاعدة الهرم عليها كثرة الأشغال وقلة الامتيازات وظروف معيشية وصحية صعبة.

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية

سنتطرق في هذا المبحث إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بمدينة الجزائر من خلال وصف لبعض العادات والتقاليد التي كان يمارسها سكان مدينة الجزائر في العهد العثماني سواء منها في المناسبات الدينية والاجتماعية أو العادات اليومية.

المطلب الأول: الاحتفال بالمناسبات الدينية

إن عادات وتقاليد الجزائريين تحددها ضوابط الشريعة الإسلامية فالمسلم الصالح يتوجب عليه حسن معاملة أصحابه كما يطلب منه أن يكون شديدا مع أعدائه رحيما بالمنهزمين[1]. ممتثلين فيها قوله سبحانه وتعالى: " **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ....**"[2] وهو ما أكده كليمانس لامبينغ متحدثا عن أحد الجزائريين من سكان القليعة قائلا: " مخيف لأعدائه، كريم جواد مع أصدقائه وطبيعة العربي تجمع بين صفات متناقضة ففيها الشدة والحلم والقسوة والشهامة[3]، كما يؤكد ذلك بول أودال على تمسك الجزائر بالإسلام وحرصه على حفظ القرآن الكريم وعلى صلواته حيث يبكرون لصلاة الفجر.[4]

وإذا كان هذا على سكان مدينة الجزائر المسلمين فقد حظيت فئة أهل الذمة كذلك بحرية المعتقد وممارسة مختلف شعائرها الدينية وهو ما ذكره العالم الألماني ج.أوهانسترايت قائلا: يتمتع الكل في الجزائر بحرية المعتقد فالأجانب يكرمون والكل في وضعية تمكنهم من القيام بما يرغبون فيه[5]. وذلك راجع لتعاليم الدين السمحة والتي تحض على احترام الأديان

---

[1] – ج. أوهانسترايت، مصدر سابق ص 46.

[2] – القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 29.

[3] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830–1855، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 194.

[4] – بول أودال، مرجع سابق، ص 157.

[5] – ج. أوهانسترايت، مصدر سابق، ص 46.

الأخرى ومعتنقيها كما أشار وليام شالر إلى أن القرآن الكريم والأحكام المستخلصة منه تشكل القانون المدني.[1]

وإذا كان ذلك عن الدين الإسلامي في الجزائر وعلاقته بباقي الأديان فإن اللغة التركية هي اللغة الرسمية تمثل لغة النخبة الأرستقراطية العسكرية والبحرية وكل من اعتنق الإسلام يتكلم بها على غرار الأعلاج في حين تستعمل اللغة العربية في الأوساط الشعبية وبين الفئات المتعلمة وفي المساجد والمدارس أما اللهجة البربرية فستعمل في عدد من الأحياء وفي منازلهم على غرار زواوة والميزابيين...بالإضافة إلى وجود لغة الفرانكة Longue franca يستعملها العبيد وبعض التجار الأوربيين وبعض معتنقي الإسلام حديثا ولأنها لغة المعاملات وهي عبارة عن خليط من العربية والإسبانية والتركية والإيطالية والبروفانس وبعض الكلمات البرتغالية.[2]

كان المذهب المالكي هو المذهب الوحيد في مدينة الجزائر قبل الوجود العثماني بالمنطقة 1519م وبعد أن صارت الجزائر إيالة عثمانية فقد عملوا على نشر المذهب الحنفي دون فرضه على سكان المدينة كما عرفت البلاد انتشار الزوايا والطرق الصوفية والتي عمت كامل البلاد على غرار الطريقة الرحمانية والتيجانية والقادرية... .[3]

أما عن الاحتفالات بالمناسبات الدينية فقد تعددت هذه المناسبات في مدينة الجزائر وتنوعت طرق الاحتفال بها ومن هذه المناسبات الدينية ليلة القدر مصداقا لقوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر...".[4]

ومناسبة المولد النبوي الشريف بإيقاد الشموع وإنشاد التواشيح والتزين لها. وليالي رمضان وعيد الأضحى[1]، وكذلك توديع واستقبال الحجاج وهو ما ذكره الورثلاني في رحلته:"

---

[1] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 47.

[2] – شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 340. انظر كذلك: وليام شالر، مصدر سابق، ص 39.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص ص 183-184.

[4] – القرآن الكريم، سورة القدر، الآية 1-3.

إن شيخ الركب سيدي محمد المسعود قد ضرب طنبله في مدينة الجزائر على عادة الأمراء وكنا قد تواعدنا معه قبل على السفر... فلما سمع الناس من عمالة الجزائر بحج الفضلاء ونخبة العلماء حركهم شد الرجال".[2]

1-الاحتفال بشهر رمضان:

إن شهر رمضان له نكهته الخاصة عند المسلمين بصيام أيامه وقيام لياليه ممتثلين فيه قوله تعالى:" **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...**"[3]، ويكون الصيام طوال اليوم: "**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل...**"[4]، وفي الحديث الشريف من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. ومن هنا تتضح أهمية شهر رمضان وقدسيته لدى سكان مدينة الجزائر ومما يرويه موريتس فاغنر قائلا:" إن الإعلان عن بدء شهر الصيام يتم بإطلاق مئة طلقة من مدفع كبير أقيم في الميناء ثم توقد مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد ويقف المؤذن بثيابه الجميلة وسط أضواء المصابيح ويرفع العلم الأبيض ثم يدعوا إلى الصلاة ويلبي كل مسلم راشد إلى الصلاة. وكانت المساجد مكتظة بالمصلين وعددها تسعة وثلاثون مسجدا بمدينة الجزائر.[5]

ويواصل فاغنر حديثه عن عادات سكان مدينة الجزائر خلال شهر رمضان قائلا: "إن طعام الصائمين في الليل الكسكسي بالزيت ويضاف إليه اللحم المقلي والفواكه"، يذهبون لأداء الصلاة يؤم الناس شيخ الإسلام. إنه منظر جدير بالاعتبار حيث يصطف المسلمون

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 مرجع سابق، ص 159.

[2] – الحسين بن محمد الورثلاني، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد الأول، ط1، مكتبة الثقافة الدينية...، 2008، ص ص 14-17.

[3] – القرآن الكريم، البقرة، الآية 185.

[4] – القرآن الكريم، البقرة، الآية 187.

[5] – أبو العديد دودو، مرجع سابق، ص ص 114-115.

خلف الإمام دون أن يقيموا وزنا للأصل والنسب على الرغم من تعدد الأجناس وبانتهاء الصلاة يأخذون مسبحة ويهزون حباتها ويتمتمون بكلمات يودعون بها المكان الطاهر ويترك المسجد بوقار وخشوع.

كما اعتبرها المؤرخون الأجانب شهر الحلويات والضيافة والأفراح عند الجزائريين والحفلات الصاخبة هي "القراقوز[1]" [2]، وهو مسرح شعبي يمثل العراك بين شخصية القرقوز الذي يمتاز بجسمه الضخم ومنظره المضحك فهو بدوي يوزع الضربات ويتلقى مثلها من الجنود الفرنسيين" وسماع الموسيقى في المقاهي.[3]

ومن عادات شهر رمضان كذلك ختم صحيح البخاري في المساجد مع إضاءة الشموع فيها، كما أن المدينة تعرف حركة كبيرة ليلا خلافا لباقي الشهور، أما في رمضان فالجميع يسهرون حتى النساء تخرجن مع أزواجهن.[4]

كما شاع بين سكان المدينة إنشاء الشعر الشعبي بحيث يقص المداحون للسير والأخبار ومغامرات الأبطال بالإضافة إلى شرب القهوة وتدخين السبسي أو الفليون.[5]

وعلى الرغم من طول مدة الصيام من الفجر حتى غروب الشمس إلا أنه غير متعب وهو ما أشار إليه ج.أوهابنسترايت قائلا: أن صيام شهر رمضان ليس منهكا إلا لجماعة

---

[1] – القرقوز: هي دمى صغيرة من الورق المقوى أو الخشب الرقيق يحركها إنسان مختفي وينطق بما تقول فترى كأنها تتحرك وتتكلم فالقرقوز دمى متحركة.

[2] – أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 115. انظر كذلك: أبو العيد دودو، الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الثانية، العدد 08، الجزائر، ماي – جوان، 1972، ص 43-44.

[3] – بلبراوات بن عتو، نظرات استشرافية لعادات وتقاليد مجتمع الجزائر العثمانية، مدينة الجزائر نموذجا، العدد 2، دون مجلة، دون طبعة، دون سنة، دون دار نشر، دون تاريخ، ص 86.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 160.

[5] – أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 161.

البرانية الذين يلتزمون بصيامه رغم ما يقومون به من أعمال منهكة، بينما الحضر يتجنبون هذا الإجهاد ويهيئون في الليل ما يقومون به في النهار.[1]

2-الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى:

الأعياد الدينية من المناسبات التي كان يحبها الجزائريون ويعطونها صبغة احتفالية تخضع لعادات وتقاليد متوازنة وكلاهما يأتيان بعد إتمام ركن من أركان الإسلام فعيد الفطر يأتي بعد صيام شهر رمضان وعيد الأضحى يأتي بعد ركن الحج وهو ما ذكره وليام شالر الذي عايش الجزائريين قائلا: "عيد الفطر الذي يتوج شهر الصيام مثل عيد الأضحى الذي يأتي بعد ذلك بشهرين وعشرة أيام فهي مناسبة جليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية".[2]

يعرف عيد الفطر عند الأتراك العثمانيين بـ"قربان بيرام" حيث يقوم المسلمون على اختلاف أجناسهم بمدينة الجزائر بالاحتفال بهذا العيد الذي يدعى بالعيد الصغير أي عيد الأطفال تقدم فيه الهدايا للأطفال وتكون في شكل نقود لدى الجزائريين والقطع الصغيرة المصنوعة بالسكر.[3]

ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من ألبسة وخاصة الأطفال الذين يرتدون ثياب مطرزة بالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة كما تخرج النساء والفتيات محجبات بحيث لا يقل عددهم عن الرجال ويكتفين بالنظر والتسلية... وفي باب الواد ميدان فسيح يقوم فيه تركي عجوز بإدارة عجلة كبيرة وفوقها عدد من الأطفال يمرحون ويضحكون أما أبناء الأغنياء فيجلسون في عربات يقودها الزنوج أو البسكريون.[4]

---

[1] – ج. أوهانسترايت، مصدر سابق، ص 48.

[2] – وليام شالر، مصدر سابق، ص67.

[3] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 100.انظر كذلك: بلبراوات بن عتو، المدينة والريف في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص 142.

[4] – أبو العبيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص 118.

كما أشار موريتس فاغنر إلى استيقاظ الناس صباح يوم العيد على أنغام الموسيقى التي يعزفها السود وهذه الموسيقى من العادات القديمة المتبعة في الأعياد " يوقضون الداي من نومه صبيحة العيد ويعزفون موسيقاهم في قصر القصبة ويتلقون عليها الهدايا".[1]

ومن مظاهر الاحتفال بالعيد أن تجوب فرقا موسيقية زنجية أحياء المدينة عازفة أنغاما موسيقية صاخبة بواسطة الطنابير والصفائح الحديدية وتصاحبها حركات الراقصين السود ممثلة في اهتزازات أجسادهم والتي تبدوا أنها شاذة إلا أنها تتم عن طريق طابع ابتكاري بحيث يمنحهم السكان نقودا.[2]

إن هذه الفرحة والسرور لدى الجزائريين احتفالا بالعيد كان يشوبها الإهانات ضد اليهود مما جعلهم لا يبرحون منازلهم[3]، ويضيف شالر في وصف أجواء الفرح والسرور قائلا "تجري فيها ألعاب شعبية وتصفف فيها موائد الطعام في القصر وفي كل مكان دلالة على السرور، كما توجه فيها الدعوة لقناصل الدول الأوربية ليقدموا تحياتهم للداي بحيث تقضي القواعد بتقبيل يد الداي سابقا و في عهده يصافحون يده وينحنون أمامه[4]، ويكون الداي معرضا لأخطار كبيرة من أعدائه كما تتم مبارزة رسمية إعتاد الأتراك القيام بها وذلك بعد الصلاة وتكون المبارزة مصحوبة بأنغام موسيقى الإنكشارية ويتسلى الشعب بكل أنواع الألعاب أيام العيد.

أما عن احتفالات عيد الأضحى فيدعوه الأتراك بعيد "القربان بيرامي" ومعناه عيد المسلم الكبير للتضحية أما عند الجزائريين والعالم الإسلامي الناطقين بالعربية فهو عيد الأضحى أو العيد الكبير[5]، تبدأ من انطلاق نيران البنادق بكثرة عند بزوغ الفجر وبعد أن تقام صلاة العيد تفتح أبواب قصر الداي على مصراعيها للعامة و يقدم الكسكسي المطبوخ

---

[1] – نفس المرجع، ص 118.

[2] – أ. ليسور. و. ويلد، مصدر سابق، اللوحة 36.

[3] – بن عتو بلبروات، نظرات استشرافية لعادات وتقاليد، مرجع سابق، ص87.

[4] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 67.

[5] – ج.أوهابنسترايت، مصدر سابق، ص 49.

بعنايـة لكـل الحاضـرين ويسـتعد الـداي لاسـتقبال تهـاني وهـدايا أعضـاء حكومتـه وممثلـي الحكومات الأجنبية المقيمين في مدينـة الجزائر ثم يقود وجهاء المدينـة وأوجاقها وسكانها إلى جامع الحواتين حيث يقع ذبح الأضاحي تحت وقع طلقات البنادق والموسيقى العسكرية[1]. كما قيل بأنه يسمح للعبيد بالخروج إلى المدينة بمناسبة عيد الأضحى والذي يحتفل به في القصر بالمأدب والموسيقى ومباريات المصارعة[2]، وهي عبارة عن ألعاب بهلوانية تقام بمناسبة الأعياد الدينية مثل العيدين و يوم الجمعة يمارسها الأتراك والناس بحيث يحضرها الباشا يوم العيد وكبار رجال الدولة خارج باب الواد وتتم بأن يتقدم اللاعبين اثنين اثنين في حوالي 10 أزواج ويصعدون على المنصة المعدة لذلك ويجلس الباشا وأعوانه على زرابي حول الحلبة وتقوم لعبتهم على خفة الحركة والمهارة في الحلبة وإظهار القوة بحيث كل ثنائي يأخذ فترة من الوقت إلى أن ينتهي اللاعبين ثم يمنح الباشا بعض النقود لكل واحد منهم.

ومن الألعاب الأخرى لعبة العصي التي يشترك فيها الباشا أيضا وتقوم هذه اللعبة على أن الفرسان يسيرون الواحد تلوى الآخر ويرمون عصيهم على بعضهم البعض والفائز من يصيب صاحبه وفي نهاية اللعبة يركب الباشا على فرسه ويسير خلف أحد الفرسان ويحاول إصابته بعصاه والفارس المحظوظ هو من يصيبه الباشا فينزل الفارس ويتقدم نحو الباشا ليعطيه الدراهم وبنهاية اللعبة يرجع العامة ويقضي الباشا ورجال حكومته إلى بعد ظهر ذلك اليوم في الأكل والشرب واحتساء القهوة.[3]

ومثل عيد الفطر توجه الدعوة لقناصل الدول الصديقة والمستقلة ولرئيس الطائفة اليهودية بالجزائر لحضور مراسم الاحتفال وسط الجماهير وتقديم التهاني للداي.[4]

---

[1] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 101. انظر كذلك: درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين 10–13هـ/16–19م بين التأثير والتأثر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2015، ص 104.

[2] – درقاوي منصور، نفس المرجع، ص 105.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 160–161.

[4] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص 142.

ومن المناسبات الدينية الأخرى الاحتفال بليلة القدر في مدينة الجزائر وغيرها من المدن وذلك بالنظر لعظيم شأنها حيث قال الله تعالى: "...ليلة القدر خير من ألف شهر"[1]. وهو ما ذكره ابن حمادوش فيها إحياء المسلمين الليل كله بالصلاة إلى غاية الفجر ثم يوترون ويقرأون ما تيسر من القرآن ثم يؤذن المؤذن للفجر فإذا ركع الناس في الفجر وإذا فرغوا من التسبيح وأذكار ما بعد الصلاة قرأوا حزب الصبح فإذا انتهوا أتى موقد القناديل ليأخذ الشموع إلى المحراب حيث الإمام مجتمعا بقرائه ويقرأون القرآن ثم يسبحون مائة مرة ثم يرش بماء الورد كل الحاضرين ويبدأ الإمام في قراءة الدعاء المعد لذلك والمصلون رافعون أيديهم ثم ينصرفون باتجاه قبر سيدي عبد الرحمان الثعالبي ويحضرون ختم البخاري.[2]

أما الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فقد ذكره وليام سبنسر بـ "يوم ميلاد النبي محمد"[3] المصادف ل 12 ربيع الأول من كل سنة هجرية أن أهل المدينة عليهم شهر ربيع الأول انبرى من أدبائها وشعرائها من إليه الإشارة وعليه المعول إلى نظم القصائد المديحيات والموشحات النبويات ويلحنونها عن طريق الموسيقى ويقرؤونها بالأصوات المطربة ويصدعون بها في المحافل العظيمة والمجامع المحفوفة بالفضلاء والرؤساء من المساجد والمكاتب والمزارات وهم في أكمل زينة تعظيما لهذا الموسم الذي شرف به الإسلام.[4]

ومن الأعياد الدينية لسكان مدينة الجزائر وغيرهم من المسلمين الاحتفال بيوم الجمعة فإن كان النصارى يذهبون لكنائسهم يوم السبت واليهود يذهبون لبيعاتهم يوم الأحد فإن المسلمين يؤدون صلاة الجمعة في مساجدهم كما تجري فيه الألعاب البهلوانية و تقام فيها المصارعة إلا أنها لا يحضرها الباشا كما لا يحضرها أشهر اللاعبين وقد ذكر أبو

---

[1] – القرآن الكريم، سورة القدر، الآية 03.

[2] – فاتح بلعمري، مرجع سابق، نقلا عن ابن حمادوش من خلال رحلته، ص 352. انظر كذلك: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 159.

[3] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 101.

[4] – فاتح بلعمري، مرجع سابق، نقلا عن أحمد بن عمار رحلته. ص 355. انظر كذلك: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 159.

القاسم سعد الله أن ليوم الجمعة مظهره الخاص بحيث تغلق المدينة أبوابها عند الصلاة كما تغلق جميع الدكاكين نوافذها ومعظم التجار لا يعودون لفتح دكاكينهم بعد الصلاة بل يذهبون في نزهات مع أهلهم إلى بساتينهم القريبة أو لزيارة بعضهم البعض كما تزور النساء المقابر منذ الصباح الباكر لزيارة موتاهن.[1]

إن غلق أبواب الدكاكين ونوافذها عند الصلاة في يوم الجمعة دلالة على عظم المناسبة التي هم فيها وممتثلين لأمر الله سبحانه وتعالى: "يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون".[2]

كما أن عدم العودة لفتح الدكاكين مساء يوم الجمعة له عدة فوائد تحصل منها التنزه بإخراج الأهل للبساتين من أجل طرد ضجر المكوث في البيت كوال الأسبوع واستنشاق الهواء النقي أو من خلال صلة الرحم بزيارتهم لأهلهم وأقاربهم وكذلك بزيارة القبور والدعاء لهم والعمل الخيري لأن الموت مآلهم.

وإن كنا نتحدث عن اهتمام سكان مدينة الجزائر بالاحتفالات الدينية فهذا ليس دليلا على أن كل سكان مدينة الجزائر ملتزمين بأمور الدين وتطبق تعاليمه فقد ظهرت هناك عدة آفات اجتماعية ذات صبغة دينية من بينها التبرج والاختلاط في الأماكن محل الأولياء كقبر سيدي عبد الرحمان الثعالبي وانتشار البدع والخرافات واختلاط النساء بالرجال خاصة في المولد النبوي.[3]

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 161.

[2] – سورة الجمعة، الآية 9–10.

[3] – لبصير سعاد، الرحلة الحجازية في العهد العثماني 1518–1830. مصدر أساسي للكشف عن الحدث التاريخي الإجتماعي نموذجا، مجلة التراث، جامعة الجلفة، 2018. Vol 8 :01 3.

المطلب الثاني: الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية

كانت هناك عادات اجتماعية يمارسها سكان مدينة الجزائر وما يميزها أنها كانت موحدة بين جميع المدن الجزائرية وتتأثر بما كان يجري في الأندلس أو في حواضر المشرق الإسلامي وتمتد أصولها إلى التاريخ الإسلامي والحضارة العربية.

وأشار العالم الألماني ج.أوهابنسترايت إلى أن: "أغلب العادات الاجتماعية التي يمارسها الجزائريون تستند في أساسها إلى قوانين كغياب النساء عن الحياة العامة واحتشامهن الشديد وقد ترجاني أحد الأتراك أن أعالج زوجته وعندما طلبت منه أن أرى المريضة أجابني من الأفضل أن تموت على أن يراها أحد والجزائريون من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الغيورين".[1]

1-الاحتفال بمناسبة الزواج:

وذكر شالر أن أغلب المسلمين الجزائريين يكتفون بزوجة واحدة تلحق بها عدد من الإماء والقليل منهم يعددون زوجاتهم وذلك راجع لمركز الرجل الاجتماعي وثروته[2]. وهو ما ذهب إليه أبو العيد دودو نقلا عن موريتس فاغنر قائلا: "إن أبناء الأثرياء يتزوجون عادة في الثامنة عشرة أما غيرهم حتى يصبح بإمكانه أن يعيل امرأة فإذا سمع شاب بفتاة جميلة أرسل لها خاطبة تأتيه بأخبارها من حيث جمالها ولطفها وإذا كان الشاب غنيا فإنها تسرع إلى والدي الفتاة وتبوح لهما بالسر".[3]

وعن طرق خطبة الفتاة، ذكر سبنسر ظاهرة التوسط والتي تتم عادة عن طريق امرأة مسنة صديقة لعائلتي الفتى والفتاة ويجلبن أخبار العائلتين من جمال ولطف الفتاة وغنى وثروة الشاب[4]، في حين ذهب شالر إلى أن التخطيط للزواج يتم بواسطة الأمهات والعلاقات

---

[1] – ج.أوهانبرسترايت، مصدر سابق، ص47.

[2] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 86.

[3] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، مرجع سابق، ص 122.

[4] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 97-98. انظر كذلك: بلبراوات بن عتو، نظرا استشرافية...، مرجع سابق، ص 88.

النسوية حيث يلتقين في الزيارات المتبادلة في المنازل أو في الحمامات العمومية[1] أين يستغرقن عدة ساعات في الحديث الممتع من بينها عن تزويج أبنائهم وبناتهن وعن تحضيرات الزواج ، يضيف سبنسر قائلا :" وفتيات الجزائر كن يبلغن سن النضج عند اثني عشرة سنة ونظرا للسرية العامة المتعلقة بالأنثى فإن المتوسطات كن يقمن بالذهاب من بيت لآخر في مهمات للعائلات اللائي لهن أولاد في سن الزواج ويستعلمن عن وجود فتيات قابلات للزواج.[2]

ويشير سبنسر إلى أن حفلات الزواج كانت تختلف حسب الظروف المالية للعائلات وحسب المجموعة الاجتماعية المعنية.[3]

يجتمع ولي الشاب وولي الشابة ويتفقان على الصداق فإذا تم ذلك ذهبا إلى القاضي ليعد عقد الزواج ويستلم ما يستحقه من مال ثم يقرأون الفاتحة على بركة الله[4]. وهو ما أكده الأسير تيدنا في مذكراته: "من شروط الزواج حتى لا يكون حراما أن لا يسبق للزوجين أن يرى بعضهما البعض وبعد اتفاق الشاب مع والد البنت على المبلغ الذي سيدفعه له مقابل تزويجه ابنته يذهبون إلى القاضي وتقرأ الفاتحة ثم يتفقون على موعد العرس".[5]

أما عن عقود الزواج في سجلات المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر في العهد العثماني فإنها تعرفنا عن أنواع المهور ومكوناتها والممارسات الاجتماعية وصلات المصاهرة القائمة فيها ويتكون الصداق من مبلغ نقدي يرد ذكره في العقد بالعملة المعروفة "الدينار الخمسيني" ومكونات أخرى (الصوف والأفراد والقفطان والفليلة والحايك والحزام والجوهر والإماء)، كما

---

[1] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 87.

[2] – وليام سبنسر، مصدر سابق، ص97.

[3] – وليام سبنسر، مصدر سابق، ص98.

[4] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، مرجع سابق، ص 122.

[5] – تيدنا، مصدر سابق، ص 89.

يخبرنا عن طريقة تسديد المهور (نقد– محضر) بحيث نصف المبلغ يقدم قبل إتمام الزواج والدخول بها و(كالي مؤخر) يقدم بعد إتمام الزواج.[1]

ومن أمثلة ذلك عقد نكاح عبد الرزاق ابن حمادوش حيث قال عقد لي في حداثة سني على ابنة عمي وصورته "...تزوج المكرم الشاب عبد الرزاق ابن الحاج محمد ابن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمه المكرم الحاج أحمد الدباغ البكر...على صداق مبارك قدره ما بين نقد محضر وحال منظر وكالي مؤخر 600 دينار كلها جزائرية خمسينية وقفطان واحد وفردان اثنان وثلاثة قناطير صوف وأوقيتين جوهرا وأمة واحدة من رقيق السودان الصالحة للخدمة ينفذ ذلك قبل البناء بها...فبعد انعقاد النكاح بينهما التزم والد الزوجة بالسكنى مدة زوجية بينهما من غير كراء يلزمه كما طاع الزوج لزوجته بأن لا يتزوج عليها ولا يتسرا مع غيرها ...فقد جعل أمرها بيدها بطلقة بائنة...".[2]

وعن تحضيرات الزواج في المدينة، يقول سبنسر " يتجول الزوج بضعة أيام قبل الحفل في نواحي المدينة على أصوات الطبول والمزامير...وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى مرتديا جلبابا أحمر وبجانبه سيف رفيع. كما يوجد خمار ملقى على وجهه للحيلولة دون تأثير عين الشيطان، وخلال الثلاثة أيام التي تجري فيها الاحتفال، يؤخذ العريس إلى الحمام في اليوم الذي يتم فيه الزواج.

وفي ذلك اليوم يتجمع الأصدقاء والأقرباء فيقوم الزوج بعدها بالصلاة بمحضرهم وينصرف بعدها ليلتحق بزوجته في بيتها، أما الزوجة فتنتقل إلى بيت زوجها على ظهر حصان تمتطيه في هودج ويرافقها أهلها وصديقاتها حاملين المشاعل والمزامير والطبول.[3]

---

[1] – عائشة غطاس، الوثائق المحلية وأهميتها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي مثال مدينة الجزائر، مجلة العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 123. الرباط 2005، ص ص 162–163.

[2] – جمال قنان، نصوص ووثائق، مرجع سابق، ص ص 233–234.

[3] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 98.

كما ذكر سبنسر أن ذهاب العروس للحمام مثلها مثل العريس إلا أن استحمام العروس يختلف قليلا عن استحمام الرجل قائلا: تمر المرأة على نفس مراحل البخار في الحمام ثم تغسل جسدها بماء الزهر ثم تبخ بالمسك والعطور الأخرى ثم تصبغ حاجبيها وتلبس ثيابها ثم تتناول مشروبا محلى وحلويات وفاكهة في جو موسيقي ورقصات الفتيات.[1]

كما كتب أبو العيد دودو عن موريتس فاغنر عن احتفال الجزائريين بالزواج قائلا: "يتناول الحاضرون طعامهم دون اختلاط حيث ترقص النساء في الداخل بينما الرجال يحتفلون في البهو أو الفناء المملوء بالناس فوق الأرض المرمرية ويدخنون ويشربون القهوة ثم تقدم قصعة كبيرة من الطعام فيلتف حولها الضيوف ويأكلون بملاعق خشبية ثم يقدم الخروف المشوي الذي يقطع ويوزع على الحاضرين ثم تقدم الفواكه من بطيخ وتمر وبرتقال، ثم تقدم القهوة أثناء مشاهدة العروض ويأتي موسيقيون والمغنون والذي يقودهم موسيقار الداي فيحدثهم طورا ويغني طورا آخر".[2]

2-الإحتفال بختان الأطفال:

حدثنا أبو العيد دودو عن انطباعات الرحالة الألمان ومن أهمهم موريتس فاغنر فيما يخص حفلات الختان بمدينة الجزائر فقال: "إن ختان الأطفال يتم على يد رجل يدعى" البشار" مقابل 08 بوجو أما الفقراء فيختن أبنائهم مجانا.

ويقدم الحضر الطعام بمناسبة الختان ويقيمون حفلة تشبه حفلات العرس حيث تتزين النساء ويرقصن على أنغام الموسيقى ويزغردن.[3]

ويخبرنا أحمد شريف الزهار في مذكراته عن ختان ولدي مصطفى باشا سنة 1212هـ/ 1801م قائلا:" وقد صنع مهرجانا كبيرا خارج البلد في بستانه بعين الربط و قد

---

[1] – وليام سبنسر، نفس المرجع، ص 96.

[2] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص 120.

[3] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص123. انظر كذلك: بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص 144.

نصب الوطاقات والأجنية والقياطين واستقدم البايات وعمالهم وأعيان أوطانهم و نادى مناديه في البلد بدعوة الناس من الخاص والعام وكافة الفقهاء والطلبة... ورتبوا في كل ليلة من أنواع الملاهي...واحتفلوا أيضا بأكل الأطعمة وشرب القهوة ...وتضرب المدافع في كل يوم من جميع الحصون وأصحاب الخيل يتسابقون واستمرت الوليمة سبعة أيام ووزع الأموال وأمر بختان أولاد الفقراء وقضى دين المدينين من الفقراء...".[1]

كما ذكر أ.ليسور و.ويلد في كتابهما "**رحلة طريفة في إيالة الجزائر** " مأدبة يهودية متعلقة بولادة طفل، حضرها عدد كبير منها بمدينة الجزائر وهم ينقسمون لملتين (ملة القريطيين شريعة موسى) وملة الربيين الذين يشرحون شريعة موسى من خلال تأويلات تلمون والتقاليد الشفوية وهم أكثر عددا.[2]

3-دفن الموتى المسلمين:

ذكر تيدنا من مذكراته أنه حضر موت بعض العرب واصفا إياها قائلا: "بعد موت الميت مباشرة يجمع الأهل والأصدقاء ويصدرون أصواتا تمزق القلب وبعد ذلك يغسل الميت بالماء المعطر مبتدئين بالرجلين وبعد الوصول إلى الرأس يمسك من الشعر المجمع على الرأس وبعد الانتهاء من الغسل، يكفن الميت في قماش جديد ويذهب الجميع للأكل".[3]

ويضيف سبنسر قائلا: "تحمل الجثة مع وثيقة من القائد والرأس مسجى إلى الأمام لتدفن وإذا كانت الوفاة في يوم الجمعة فإنه يبقى عليها إلى ما بعد صلاة الجمعة ثم يصلى عليها في المسجد وبذلك يرافق معظم المصلين الجثة على المقبرة وهم يرتلون سور القرآن ويمشون بسرعة إلى أن يصلوا إلى المقبرة[4]، وهي أرض وقف تقع خارج المدينة[5]. كما يصف

---

[1] – أحمد شريف الزهار، مصدر سابق، ص 82-83.

[2] – أ.ليسور و.ويلد،"رحلة طريفة في إيالة الجزائر "، اللوحة 39.

[3] – تيدنا، مصدر سابق، ص 91.

[4] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 105-106.

[5] – ج.أوهانسترايت، مصدر سابق، ص 38.

تيدنا القبر قائلا: "عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل، متوسطة العمق، رشت بالماء ليوضع بها الجثمان وتغطى بالحجارة بكل عناية وترتب بحيث لا يسقط التراب ثم تغلق الحفرة".[1]
كما توضع حجر عند الرأس وأخرى عند القدم (الشواهد) تكون منقوشة بآبات قرآنية أو يكتب فيها اسم صاحب القبر وتاريخ ولادته ووفاته ويزار القبر مدة ثمانية أيام للترحم على الميت ثم يذهبون كل يوم جمعة.

ومن مظاهر الحزن على الميت عدم الحلق للذكور قبل ثلاثة أيام وترتدي النساء اللباس الأسود ولا توقد النار في بيت الميت قبل مرور ثلاثة أيام بحيث يطهى في بيوت الأقارب وتستمر أرملة المتوفى في حزنها لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام.[2]

وما ذكره أحمد توفيق المدني من مذكرات فونتير دي بارادي أن ما يشغل بال الأغنياء وكبار الدولة شراء أرض خارج باب الواد أو باب عزون وإحاطتها بسور وتغرس بها الأشجار والزهور وتهيئ قبورهم بها وإن كان الماء قريبا منها يجري لسقاية أبناء السبيل كما فعل محمد بن عثمان باشا...ويتلقى أبناء وحريم المتوفى التعزية بسقيفة الدار لثلاثة أيام.[3]

تعتبر هذه المظاهر عادات إسلامية مارسها سكان مدينة الجزائر وتقيدوا بها ومعظمها لاتزال سارية في بلدان العالم الإسلامي...والجدير ملاحظته هو الوصف الدقيق للمؤرخين الأجانب لكل العادات والتقاليد سواء منها الأفراح أو الأحزان.

المطلب الثالث: العادات اليومية

مارس سكان مدينة الجزائر عادات يومية عديدة تمثلت في الأكل والشرب واللباس ومظاهر الزينة كما ارتادوا الحمامات والمقاهي والأسواق وتنوعت بتنوع أغراضها وهو ما سنعالجه في هذا المطلب.

---

[1] – تيدنا، مصدر سابق، ص 91.

[2] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 106.

[3] – أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا باي الجزائر، مرجع سابق، ص 172.

1-الغذاء والحلويات:

إن عادات الغذاء تعتبر أحد مكونات العادات والتقاليد التي تمكننا من معرفة أسلوب حياة ومعيشة أي مجتمع. لذا، أولاها المؤرخون الغربيون أهمية كبيرة من أجل فهم هذا المجتمع والتعامل معه[1]. ومن بين هذه الأطعمة نذكر:

أ-الكسكسي:

طعام مشهور في إيالة الجزائر مدنا وأريافا ويعتبر الأكلة الرئيسية لدى الجزائريين، أساسه دقيق القمح ويفتل على شكل حبات صغيرة في قصعة ثم توضع في كسكاس ويطهى بالبخار ثم يوضع بصحن وتوضع عليها سمن وزبدة وحساء وبصل وفلفل وخضر، ويسقى بالمرق ولا يخلوا من اللحم أبدا. وإن لم يصب المرق، يصب على الكسكسي اللبن أو الحليب. كما يكلل عند الأغنياء بالزبيب والتين وشرائح البطيخ أو بالبيض المسلوق أو بأعشاب حلوة.[2]

- اللحوم: يستهلك سكان مدينة الجزائر اللحوم بشكل محدود ويقتصر على الأغنياء. أما الفقراء فقليلا ما يتناولونه. ومن اللحوم الرائجة، نجد لحم البقر، لحم الضأن، لحم الدجاج والأسماك.
- شرب القهوة: فهي مشروب الترف لمجتمع الجزائر في العهد العثماني لأنهم لا يشربون الخمر.[3]
- الزبدة: وتستعمل في تحضير الكسكسي لدى الحضر.
- زيت الزيتون: ويستعمل في تحضير الكسكسي من طرف الفقراء.
- البيلاف: طبق أناضولي كان شائعا كثيرا في مدينة الجزائر.
- الدولما: أي المحشوة، وتطبخ على أنواع منها:
  - سوبان دولماسي: وهي بصل مملوء بلحم الخروف المرحي والأرز.
  - بابراك دولماسي: وهو لحم مغلف بأوراق العنب.

---

[1] – درقاوي منصور، مرجع سابق، ص93.

[2] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف مرجع سابق، ص139. انظر كذلك: بلبراوات بن عتو: نظرات استشرافية، مرجع سابق، ص 82. وانظر كذلك: وليام شالر، مصدر سابق، ص 87-88.

[3] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 88.

- الكباب: من لحم العجول والغنم، وهو طبق شائع الانتشار في الطبخ الجزائري.
- الكفتة: كراكب من اللحم وتطبخ بطرق متنوعة.[1]
- أطعمة أخرى: مثل الحليب، الزيتون والفواكه من عنب وبرتقال ولوز وخضروات تنتجها أراضي الجزائر بالفحوص كفحص متيجة وحدائقها الغناء.[2]

ب-الحلويات:

وتتضمن أنواعا عدة منها:

- المشلوش: كعك يصنع من قطع صغيرة من الطحين والعسل وتنقع في الزيت ثم يذر فوقها السكر ثم قطع من البيض المسلوق.
- الزلابية: من أنواع الحلويات الدسمة وتعوم في حساء من العسل.
- البوراك: طعام صلب ومجوف في وسطه لحم محلى بالعسل.
- القطائف: يقطع العجين في شكل دود وتحلى بالعسل والسكر.
- البقلاوة: حلوة تركية الأصل، محشوة باللوز والزبيب، دسمة ومشربة بالعسل.[3]

من الملاحظ أن هناك أكلات وحلويات جزائرية خالصة كالكسكسي، وهناك أطعمة وحلويات ذات أصل أناضولي تركي دخلت مدينة الجزائر عن طريق عامل التأثير والتأثر ولازالت قائمة عندنا إلى يومنا هذا.

2-اللباس:

عنوان الذوق والأناقة عند أغلبية الناس وصورة لشخصية صاحبه والتعرف عليه، لذلك أولى الأجانب الذين حلوا بالجزائر خلال العهد العثماني أهمية لدراسة ألبسة مختلف الطوائف الاجتماعية ذكورا وإناثا وهو ما أشار إليه شالر: " لباس الجزائريين يتكون من عدة قطع بعضها بأكمام والبعض الآخر بدون أكمام، مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وزخارف، وبعد ذلك تأتي سراويل فضفاضة تنزل حتى الساق وكثيرا ما يلبس الرجل حزاما يلفنه عدة مرات حول وسطه ويعلق عليه خنجرا أو مسدسا ويضع في طياته أيضا ساعته ومحفظة

[1] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 94-95.

[2] – غزالي عبد العالي ونقادي سيد أحمد، صورة الجزائر في مصادر الرحلة الغربية خلال العهد العثماني، هانسترايت نموذجا. مجلة الحوار المتوسطي، دون دار نشر، المجلد التاسع، مكان نشر، العدد 1، مارس 2018، ص 117.

[3] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص 140.

نقوده. أما لباس الرأس فهو العمامة والرجلين البلغة أما الجوارب فلا يلبسها إلا الشيوخ وفي حالة البرد فقط. وتختلف نوعية الملابس باختلاف طبقات الناس وثروة الأفراد وفصول السنة[1]. لذلك سنسرد فيما يلي ألبسة ثلاثة فئات اجتماعية:

أ-لباس الأتراك العثمانيين:

ذكر وليام سبنسر لباس الرسميين من الحاكمين في الجزائر إلى أدنى عضو في الأوجاق كان صورة طبق الأصل للباس مجتمع القسطنطينية العثماني يعكس الأذواق العثمانية في أطرزة مغربية بحيث يرتدي الرجل التركي العثماني البرنوس فهو ثوب فضفاض متصلة جوانبه بأكمام وقلنسوة[2]. ويلبس ذوي الاعتبار من الرجال بدعيتين[3] أو ثلاث بدعيات مفتوحة عند الرقبة وتزركشها الأزرار وسروالا مطرزا عريضا وفضفاضا وتلتثم خياطة السراويل بواسطة تطريز حريري يضع به لابسه مسدسه وخنجره وسيفه وعند نهايته يخبئ الساعة وحاملة نقوده المصنوعة من الحرير ويعرف هذا الطرز بالطرز الجزائري.[4]

أما لباس نساء الأتراك المتزوجين فيلبسن الفارملة بشكل واسع وهي لباس ذو حزام ومفتوحة عند الصدر مع معطف أو أكثر بأكمام قصيرة إلى جانب ألبسة داخلية تتدلى على سراويل مطلوقة عندما يكن في المنزل، ولما يخرجن يضعن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات يصل إلى الركبة وينجز من بشاش مزركش عريض ثم تأتي سراويل عريضة وبليغة مربعة الشكل وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض ويحجبن حتى عيونهن بقطعة قماش شفافة بيضاء.[5]

كما وصف شالر لباس المرأة العربية قائلا: " يتكون من قميص صغير لدى نساء الأغنياء ويصنع من أرفع المواد وأفخرها ثم سروال ينزل إلى العقب وثوب من حرير أو مادة أخرى ويكون غنيا بالتطريز كما تلبس حذاء ولكن بدون جوارب، كما تعتني بشعرها عناية

---

[1] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 83. انظر كذلك: بلبراوات بن عتو، نظرات استشرافية العادات وتقاليد...، مرجع سابق، ص82.

[2] – القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال كما يعبر عنها بالقبعة، انظر: درقاوي منصور، الموروث الثقافي، ص 96.

[3] – بدعتين: مثنة بدعة، من أنواع الصدريات تغلق بأزرار تصنع من قماش الجوخ (الصوف) مطرزة بخيوط ذهبية أو فضية. انظر كذلك: درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني في الجزائر، ص 96.

[4] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 86.

[5] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص89. انظر كذلك: علي تابليت، مرجع سابق، ص197.

خاصة كما تعمل على صبغ حواجبها بالأسود وأظافر أيديهن طلاء خاص ولأكفهن وأقدامهن بالحناء".[1]

كما تلبس المرأة الجزائرية الحلي الثقيلة بما فيها الخواتم وأقراط الذهب وأساور وخلاخل من الذهب والفضة حسب طبقاتهن ولباس الرأس السرمة الذي يصنع من الذهب أو الفضة وهي ذات شكل مخروطي.[2]

ب-لباس الكراغلة:

عادة ما تكون مزينة بالقصب الحواشي بالذهب أو الفضة أو الحرير طبقا لغرور الشخص أما شكل العمامة وثناياها ونوع المادة التي صنعت منها هي المقياس الذي يحكم الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها، وفوق جميع ملابسه يلبس برنوسا يغطى به كامل جسده للوقاية من المطر أو البرد.[3]

ويرى وليام سبنسر أن كل الجزائريين من غير الأتراك يلبسون لباس بسيط[4]. لكن، حسب الوصف المقدم من طرفهم فهو لباس حسن يتكون من عدة قطع ويختلف اللباس داخل المنزل عن خارجه. وكذلك بالنسبة لمجتمع يقال عنه الثراء والغنى بالنظر لكثرة عائدات الغزو البحري.

ومما ذكره محمد بن مصطفى بن خوجة أنه "لا حرج في لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذ لم تكن مما حرم الله والمذموم الإمعان في التكلف والتفاخر وأباح الإسلام تناول الطيبات أكلا وشربا ولباسا ولم يحضر عليه إلا ما كان ضارا مثل الحرير والذهب للرجال أو الحرام في ارتداء الرجل ثياب النساء أو العكس والمكروه هو اللبس للتكبر وحرم كذلك اتخاذ الولاة والحكام لباسا رسميا كالبرنس الأحمر وتحلي العلماء والوجهاء بالكساوى التشريفية (تحريم تحلي الثياب بالذهب والفضة وتحريم التشبه بغير المسلمين في الشعائر الدينية لبس القلنسوة البزينطة)، ومن الألوان المحبوبة عند مسلمي الجزائر أن السودان يميلون إلى الحمرة

---

[1] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 85.

[2] – وليام شالر، نفس المصدر، ص85.

[3] – وليام شالر، المصدر نفسه، ص 83.

[4] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 87.

وأكثر العرب يلبسون في الشتاء الزغداني (برنس من الوبر) والمغاربة يستحسنون برانس من الجوخ واللون الملائم هو البياض خاصة إذا كان من الصوف.[1]

ج-لباس اليهود ونسائهم:

كان اليهود بمدينة الجزائر يلبسون لباسا أسودا من الرأس إلى القدمين حيث أشار كورين شوفالييه إلى أن "اليهود أجبروا على ارتداء هذا النوع من اللباس ليخالف اللباس الذي يرتده الجزائريون ويزدحمون في حارات خاصة بهم".[2]

إن لباس اليهود كان عبارة عن عباءة طويلة تصل إلى منتصف الساقين وعمامة سوداء تلفها عصابة بلون قاتم ذات خطوط للتمييز بينهم وبين الأجناس الأخرى[3]، ويضيف سبنسر في وصف لباس اليهودي " يلبس اليهودي جببا ومعطفا ذا أكمام عريضة لا تمنع من غسل الأطراف العليا وكذلك حزاما عريضا وخناجر كبيرة و جميلة في جراب على الجانب الأيسر وفي الشتاء يلبسون سراويل تضيق عند أدنى الركبة كما يفعل الإسبانيون وأحذية ملونة توضع في الرجل وتخلع دون أن تلمسها اليد وصباطات وهي عبارة عن نوعية من الأخفاف للجوانب العالية ويلبسون غطاء للرأس".[4]

أما لباس المرأة اليهودية فلا يختلف عن لباس المرأة المسلمة في المدن وتخرج إلى الشارع بدون قناع فوجهها ظاهر قصد التمييز بينها وبين المرأة المسلمة التي تضع قناعا على وجهها ولا يظهر سوى عيناها[5]، كما لهن حرية بين العامة حيث يجلسن باستمرار عند باب منازلهن على الحصير أو الزربية وهن قليلات العناية بأولادهن ويقصدن المعابد للتعبد والمقبرة اليهودية والحدائق بالفحص.[6]

---

[1] – محمد بن مصطفى بن الخوجة، أعمال 1865-1915، دون طبعة، نشر جامعة الجزائر، 2013، ص 184، وص 204، 206، 209.

[2] – كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص67، انظر كذلك: عيسى شنوف، مرجع سابق، ص 31.

[3] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص137.

[4] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص84-85.

[5] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص138.

[6] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 85.

3-ارتياد المقاهي:

ما ميز الحياة الاجتماعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني ارتياد سكانها المقاهي التي اعتبرت مكانا يلتقي فيه المعارف لشرب القهوة والتمتع بنغمات الموسيقى الأندلسية وعرائس القراقوز، وبالتالي الترفيه عن النفس.[1]

وذكر أبو العيد دودو على لسان موريتس فاغنر أن عدد المقاهي يزيد عن الستين مقهى في القسم الأعلى من المدينة... وتعتبر المقاهي من الأماكن التي يتعرف فيها الأجنبي على الشعب ويتعلم لغته ويذكر مختلف الأجناس في المقهى من البسكري إلى الميزابي إلى القبائلي إلى التركي إلى الحضري والبدوي...ويقع أجمل مقهى في شارع البحرية.[2]

كما ذكر فيلهلم شيمبر[3] رؤيته للمواطنين جالسين في المقاهي في الساعة الثالثة صباحا يدخنون ويشربون القهوة والداعي لذلك هي المعاملات الفردية كما يسهرون ليلا في مقهى كبير ليستمعوا إلى الموسيقى والأغاني العربية.[4]

تعتبر المقهى أهم مؤسسة ترفيهية تكون تحت إدارة أحد الأعلاج أو الأسرى في مقابل دفع جزء من الفائدة للبايلك وتقدم فيها القهوة والشاي وتقام فيها لعبة الدامة وعروض القرقوز وتقدم الفرق الموسيقية وصلات تطرب الحضور.[5]

وتقدم القهوة للزوار في فناجين من الخزف فوق صحون من الصفيح وتوضع فيها مسحوق من السكر ويقدم معها غليون أحمر ذو قصبة طويلة وتبغ من النوع الممتاز وثمن

---

[1] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص 145.

[2] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص 122

[3] – فيلهلم شيمبر: رحالة ألماني زار جنوب فرنسا والجزائر ومصر والجزيرة العربية وأثيوبيا، أما عن الجزائر فقد حل بها في ديسمبر لمدة عشرة أشهر وألف عنها كتابا بعنوان " رحلة فيلهلم شيمبر إلى الجزائر 1831-1832، أنظر أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 14.

[4] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص15. انظر كذلك: المازري بديرة، حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن 18م، مجلة الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، دون طبعة، الشركة التونسية للطبع، عدد 1121، مارس 1988، ص 100.

[5] – أحمد بحري، "العادات الاجتماعية في جزائر الدايات"، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، دون طبعة، دون دار نشر، دون مكان نشر، دون تاريخ، ص 436.

كل ذلك سنتيم واحد، ويجلس صاحب المقهى عند المدخل لاستقبال الزوار والطباخ من السود أما النادل فهو من الحضر وفوق رؤوسهم فلانس حمر وألبستهم نظيفة أما المقاهي الكبيرة فتوجد فيها فرق الموسيقى وتستعمل الناي والقيتار والرباب وعادة ما تكون الموسيقى هادئة[1]، ليتجاوب معها رواد المقهى.

كما ذكر ليسور وويلد في رحلتهما الطريفة إلى إيالة الجزائر قائلين: " فهو شعب يثير الإعجاب، يعتبر كل الناس إخوة حيث يجلسون على نفس الحصير وهم ينصتون لأغاني الموسيقار الذي يروي لهم قصة عربية تبتسم لها شفاه الحاضرين ويألفون موسيقاهم التي تتلاءم مع معيشتهم...والموسيقار شخصية ذات مكانة يقبض أجورا ضخمة ويشرب القهوة والتدخين مجانا".[2]

أما عن الجزائريين، فيرون القهوة كمشروب " تزيل الهموم وتبعد الكآبة وتجلب المرح وتنشط الجسم وتساعد على هضم الأكل وتقوي الإدراك والفهم.[3]

أما فيما يخص لعبة الدامة التي تلعب في المقهى وبغرض التسلية " فهي لعبة مشهورة في مدينة الجزائر ولا يلعبها العرب بغرض الربح وإنما لصرف الوقت وانتصارات اللعبة تقتصر على فنجان قهوة أو وضع غصين هليون على عمامة المهزوم دلالة علة انهزامه.[4]

4-ارتياد الحمامات:

الحمام مشتق من الحميم وأحم نفسه إذا غسلها بماء حار. والاستحمام هو الاغتسال بالماء الحار.[5]

إن ارتياد الجزائريين للحمامات من العادات الاجتماعية التي أبهرت الأجانب وجعلتهم يصفونها وصفا دقيقا، فقال كورين شوفالييه: "إن كلمة حمام تعني بالإسبانية سجن (بانيو)

---

[1] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان مرجع سابق، ص 112-113. انظر كذلك: درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر، مرجع سابق، ص 113، وانظر كذلك: بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص 145.

[2] – أ.ليسور – و.ويلد، مصدر سابق، لوحة 5.

[3] – أ.ليسور – و.ويلد، نفس المصدر، لوحة 19.

[4] – المازري بديرة، مرجع سابق، ص 101.

[5] – فاتح بلعمري، مرجع سابق، ص 212. نقلا عن ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، ص 737.

حيث دأب العثمانيون على اعتقال الأسرى ليلا وبتكاثر أعدادهم بنيت لهم سجون خاصة بهم".[1]

وفي حديث شالر عن الحمامات العمومية في الجزائر قائلا: " تشبه حمامات القسطنطينية والقاهرة... فهي كثيرة ويحتفظ بها بعناية والإقبال عليها من السكان كبير".[2]

أما سبنسر فتحدث عن أغراضها فقال: "لها أغراض اجتماعية هامة زيادة على عملها التنظيفي... وهو المكان الذي يتنظف فيه الجزائريون دينيا وصحيا، ففيه يلتقي الرجال والنساء الحضر كل في قسمه المنفصل. وفيه يتفق على الزواج، وفيه تحكى الحوادث العائلية بين الأصدقاء... لقد كان هناك من الحمامات حوالي ستين حمام أيام هايدو وكانت بناياتها واسعة ونظيفة ومضاءة ومجهزة بالماء الساخن والبارد، حيث يدفع المستحم أجره باوقتبن[3] اثنتين".[4]

وذكر العالم الألماني ج. أوهابنسترايت حمامات مدينة الجزائر قائلا: " حمامات مريحة ومزينة وتقدم لمستخدميها خدمات جيدة".[5]

وقد وصف أ. ليسور وويلد الحمام قائلا: "يتألف الحمام من 03 قاعات متصلة تمثل الأولى مدخل الدار والثانية تمثل مكان وضع ملابس المستحمين وارتداء بدلة الحمام، والثالثة للاستحمام وبدخولهم لها يجدونها دافئة أين يضطجعون وهم ملتفين في مناشف للاستراحة ويشربون عصير الليمون أو البرتقال ذلك في الغرفة الأولى، وبعد نزع ثيابهم ودخولهم لغرفة الاغتسال وهي قبة كبيرة دون منفذ وبواسطتها منصة مربعة يجري بها ماء ضعيف ساخن، كما يمتد المغاربة على أطراف المنصة للخضوع لعمليات الدلك بأيدي المدلك ثم بقفاز من وبر الجمال ثم يتم رشهم بماء ساخن ويخرجون لارتداء ثيابهم إلى الغرفة السابقة مثلما دخلوا[6] ويبخون بماء الزهر.

---

[1] – كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 98.

[2] – وليام شالر مصدر سابق، ص 99.

[3] – أوقيتين: جمع أوقية، وهي وحدة قياس الكيل، معيار للوزن يعادل 200 غرام. انظر: درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني...، مرجع سابق، ص 112.

[4] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 95.

[5] – ج. أوهابنسترايت، مصدر سابق، ص 137. انظر كذلك: أحمد بحري، مرجع سابق، ص 463.

[6] – أ.ليسور– و.ويلد، مصدر سابق، لوحة 37. انظر كذلك: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 96.

أما حمامات الداي " فهي توجد في حديقة صغيرة محاطة بأسوار تقع داخل القصبة، حيث يأتي الداي ليتنسم الهواء العليل في المساء مع عائلته وبه سقف منقوش ومطلي بعناية كبيرة وجدران مزخرفة بخزف ويوجد خلفه قفص مملوء بطيور نادرة. كما تحتوي زهريات الحديقة وأحواضها على أزهار وأشجار منها شجرة موز رائعة وأشجار برتقال والريحان وأسوار القصر البيضاء".[1]

أما فيما يخص حمامات النساء، فهي تشبه حمامات الرجال ولكن الإجراءات كانت أكثر طراوة والزبونات كان أمامهن وقت أطول... فبعد أن تنجز السيدات مختلف مراحل البخار في الحمام ذاته يقدم الخادمات بغسلهن من الرأس إلى القدم مستعملين ماء الزهر ويبخخن عليهن بالمسك والعطور وبعدها يصبغن حواجبهن ثم يلبسن ثيابهن المعلقة، وتنتظرهن في غرفة الملابس عصير البرتقال أو الليمون والفاكهة والجوز والحلويات مثل الحلقوم وأصابع العروس كما يهيئ جو موسيقي وتحضر فتيات للرقص وبذلك تقضي سيدات الجزائر يوما من أيام الأسبوع.[2]

وللحمام دور كبير في علاج الكثير من الأمراض وهو ما تحدث عنه أبو العيد دودو نقلا عن فيلهلم شيمبر قائلا: "للحمام في الجزائر دور في علاج الكثير من الأمراض، حيث وصف شاب انتفخت لوزتاه[3]. كما يساهم الحمام في معالجة السعال والنزلة وداء المفاصل.[4]

وإلى جانب العادات الاجتماعية التي درسنا، هناك عادات اجتماعية أخرى من بينها الأسواق والفنادق. فالأسواق هي أماكن تجمع بين البائعين والمشترين مع وجود سلعة. أما الفنادق فهي التي تأوي التجار خاصة الأجانب وسلعهم بعد نزولهم إلى الجزائر. وكذلك الخمارات التي منحت للعبيد الأسرى وروادها من العسكر والعبيد[5]، وأهم الخمارات حانات قصر الرايس (سبع تبارن) إلا أنه من يشرب ويحدث الفوضى يعاقب.

---

[1] – أ.ليسور– و.ويلد، نفس المصدر، لوحة 30.

[2] – وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 96.

[3] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص 14.

[4] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص 145.

[5] – المازري بديرة، مرجع سابق، 98–99. وانظر كذلك: غزالي عبد العالي، ونقادي سيد أحمد، مرجع سابق، ص 115.

أما الآفات الاجتماعية، فمن مميزاتها وجود نسبة كبيرة من العزاب الذكور من برانية وأسرى وزنوج وأوجاق لذلك كثرة عدد المومسات واللواتي كن تحت إشراف المزوار ويفتشن بانتظام ويعشن في حي مدني خاص.[1]

وكذلك تعليق زيارة أضرحة الأولياء الصالحين لجلب السعادة الزوجية أو الإنجاب أو دفع السحر، كما يتم تعليق قرون الحيوان بين أغصان الأشجار لضمان حصاد وافر.[2]

ومن الآفات الأخرى انتشار البدع والخرافات واختلاط النساء بالرجال خاصة في المولد النبوي وانتشار ظاهرة الحسد من العلماء على الرحالة[3]، إضافة إلى ظاهرة الرشوة بشراء المناصب، إذ كل المناصب عرضت للبيع وهو ما أكده ابن الفكون في حديثه عن مجتمع قسنطينة ويمكن تعميمها على كل الإيالة متحدثا عن أبي الحسن العربي الذي تصدر للإفتاء وهو لا باع له في العلم إلا أن شهرة أسلافه أورثته المنصب. كما أخبر عن قاسم العطار أنه سمع ممن يثق فيه أنه من أهل عصره الذين لا باع لهم إلا التشبه بالمنصب[4]، وهو ما ذكره أيضا ابن المفتي حسين بن رجب عن المفتي محمد النيار قائلا: "رجل جاهل مرتش أول من أهان العلم وأهله عند ملاقاة الأمير"[5]، كما تحدث ابن الفكون عن أولئك الدراويش والأولياء الذين جعلوا معارفهم الصوفية في خدمة الحكام الظلمة ليفوزوا بالمال وممارسة الشعوذة والنصب والاحتيال.[6]

---

[1] – أحمد بحري، العادات الاجتماعية في جزائر الدايات، مرجع سابق، ص ص 463-464.

[2] – بول أودال، مرجع سابق، ص 158.

[3] – لبصير سعاد، مرجع سابق، ص 210.

[4] – عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغربي الإسلامي، بيروت، 1987، ص ص 55-56.

[5] – ابن المفتي، حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة 2009، ص 89.

[6] – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 129.

الفصل الثالث

مظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية

المبحث الأول: مظاهر الحياة الاقتصادية

المطلب الأول: الحرف والصناعة

المطلب الثاني: أهم الحرف بمدينة الجزائر

المطلب الثالث: التجارة الداخلية والخارجية

المبحث الثاني: الحياة الثقافية في مدينة الجزائر

المطلب الأول: المساجد والزوايا

المطلب الثاني: المدارس والتعليم

المطلب الثالث: المكتبات والأضرحة

المبحث الأول: مظاهر الحياة الاقتصادية

ترتكز الحياة الاقتصادية بالجزائر على الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة التقليدية والتحويلية والتجارة الداخلية والخارجية والخدمات العامة والموارد المالية التي تشترك فيها هذه القطاعات الاقتصادية وبذلك يتحدد نمو البلد بمدى وفرتها وقدرة الإنسان على استغلالها مما تنعكس على أفرادها وبلدها.

كانت الجزائر معروفة في التاريخ الحديث بقيامها على نظام حربي فعال بواسطة حكومة عسكرية إلا أن ذلك لا يبرر ارتكاز الاقتصاد الجزائري على القرصنة كما يدعيه المؤرخون الأجانب أو الجهاد البحري من المؤرخين الجزائريين أتباع المؤرخين الغربيين.

لذا، رغبنا في أن نتحدث على أهم النشاطات الاقتصادية التي كان يمارسها سكان مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

يتحدد النشاط الاقتصادي لسكان مدينة الجزائر من خلال أوضاعهم الاقتصادية وامتيازاتهم فهم طوائف ذات انتماء مهني وذات انتساب عرقي، فمن حيث المهنة ينظر إليهم على أنهم طوائف متمايزة على رأس كل منها أمين يسهر على شؤونها كما ينظر لسكان المدينة على انهم جماعات من الموظفين، أما تصنيفهم العرقي فكان الهدف منه حماية الامتيازات الاقتصادية للطوائف المحظوظة.[1]

المطلب الأول: الحرف والصناعة

عرفت مدينة الجزائر عدة طوائف حرفية متميزة عن بعضها البعض في عددها وشارعها وأمينها لكن، قبل الخوض في أنواع الحرف بمدينة الجزائر، يجدر بنا تحديد مصطلح الطوائف الحرفية.

الطوائف الحرفية: يطلق عليها في مدن الجزائر خلال العهد العثماني مصطلح الجماعة ويكاد يكون الاستعمال الوحيد سواء للدلالة على التنظيمات الحرفية، أو التنظيمات العرقية، ومصطلح الجماعة يدل على التنظيم الاقتصادي والاجتماعي ذات أسس أخلاقية

[1] – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص 388.

خاصة تحمي أصحاب كل حرفة من التعدي وتضمن مستوى مقبولا للحرفة وتحدد أسعار منتجاتها وتنظم العلاقة بين الدولة وأرباب الحرف، فالجماعة الحرفية ليست إطار عمل فحسب بل إطارا لحياة اجتماعية.[1]

والطوائف الحرفية عادة ما تأخذ طابعا عرقيا عندما نجد حرفا تحت احتكار اليهود أو الأندلسيين أو الميزابيين أو الجبايل أو الجيجليين أو البساكرة.[2]

ومن التقاليد الراسخة لدى التنظيمات الحرفية وراثة الصناعة في الأسرة الواحدة على امتداد جيلين على الأقل، وقد كانت الأسر شديدة الحرص على أن تظل أسرار الصنعة وتقنياتها محصورة في نطاقها. وهو ما يترجمه المثل الشعبي العامي المتداول إلى اليوم حيث يقال: " قالوا وشكون عدوك* قالوا صاحب حرفتك"، كما أن الحرفة لا تأخذ بالضرورة من الأب إلى الابن فإنه ينتقل من الأخ الأكبر إلى الأخ الأصغر، كما تنتقل من الجد إلى الحفيد دون المرور بالأب أو عن طريق الخال.[3]

ويمكن للعائلة الواحدة أن تتخصص في حرفة واحدة كعائلة ابن المليح في حرفة العطارة وعائلة بوعينين في حرفة الحرارة وعائلة ابن حمادوش في صنعة الدباغة، كما يمكن لأفراد العائلة الواحدة أن يشغلوا حرفا مختلفة؛ فهذا الأخ خياط وذاك قهواجي والأخر كواش وغيره حرار، ويلاحظ أن اختيار الحرف في بعض العائلات اختيار استراتيجي فقد وجهت الأسر الحرفية أبناءها إلى حرف ذات صلة وطيدة أو قريبة جدا من الحرف التي تعاطاها الوالد وتبين أن هناك نزعة أو توجها واضحا في وراثة الحرف المعتبرة والمربحة.[4]

أما في الجانب التنظيمي للحرفة فقد توزعت الحرف على نقابات مهنية بحيث كل نقابة لها وظائفها المحددة وتمثلت في:

---

[1] – عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 144–146. انظر كذلك: أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 319.

[2] – لوسات فلنزي، مرجع سابق، ص 68.

[3] – عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 157–159.

[4] – عائشة غطاس، مرجع سابق، ص ص 164–166.

- إصلاح ذات البين وتصفية الخلافات التي كان يؤخذ فيها برأي أصحاب الخبرة في الحرفة.
- التدخل للتفاوض مع السلطات الرسمية في المسائل التي لها علاقة بالحرفة وعن التركيبة الاجتماعية للنقابات الحرفية بحيث تشكل نوعا من العائلة الموسعة حتى ولو كان أعضائها لا يرتبطون برابطة حقيقية وبذلك بالنسبة لسكان مدينة الجزائر.

وبخصوص قيم النقابة الحرفية نجد:

- العمل على اتساع مطالب وحاجات معينة.
- غياب الصراع الاجتماعي والاقتصادي داخل النقابة الحرفية.
- سيرة القيم الإسلامية داخل النقابة الحرفية لأن العمل الحرفي منظم حسب وتيرة الصلوات اليومية التي تؤديها في المساجد (جماعة).[1]

ومن الشعائر التي كان يمارسها الحرفي بمدينة الجزائر في العهد العثماني، نذكر منها:

- التوقف عن العمل داخل الورشات الحرفية خلال يوم، بحيث يتوجه العمال إلى المسجد القريب من ورشاتهم.
- احتفال كل جماعة حرفية بالعيد السنوي لولي صالح تحتمي به.
- ترديد الجماعات الحرفية لأدعية وأذكار قرآنية وأقوال سجعية على غرار الدلالين الذين يقرأون الفاتحة ويرددون "يا فتاح، يا رزاق، يارب العمل عليك والشهادة الطلبة فيك، يا ربي" وحينما ينتقل الدلالون إلى السوق يرددون وهم عارضين بضائعهم " باب الله من يستفتح يارباح ومن يصلي على النبي يسعد ويربح".[2]

أما فيما يخص الوضعية الاجتماعية للحرفيين، ذكر بلبراوات بن عتو، نقلا عن مولود قايد أن الحرفيين بالمدن الجزائرية في أواخر العهد العثماني كان كثيرا خاصة في

[1] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص 183.

[2] – عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 175-176.

المدن الكبرى على غرار مدينة الجزائر وهم أشخاص بسطاء ومتواضعون ويجهدون أنفسهم في العمل ويستغلون حرفهم لقضاء وقتهم والحصول على لقمة العيش وهم يعيشون على الكفاف بمدخول حرفهم، ورغم أن السلطات العثمانية بالمدن تحدد أسعار المنتوجات الحرفية إلا أن المنافسة بين الحرفيين قائمة حول الجودة و السعر خاصة فيما يتعلق بالحلي والملابس الرجالية والأحذية...إلخ.[1]

المطلب الثاني: أهم الحرف بمدينة الجزائر

قبل التطرق لأهم الحرف بمدينة الجزائر، وجب علينا التطرق لذكر الجماعات الحرفية التي كانت تنشط بمدينة الجزائر وهي مرتبة ترتيبا هجائيا على النحو التالي:

البابوجية	*البنايين*
البحاقجية (البوجاقجية)	*البياضين*
البحارين	*التبانين*
البرادعية	*الترابين*
البراملية	*التماقين*
البشماقجية	الجقماقجية (التقمقجية)
البقارين	الجواجية
البلاغجية	الحاكة (الحواكة)
الحجارين	الصياغين
الحدادين	السراجين
الحرارين	السعاجية
الحرازين	السفاجين

[1] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص ص 183-184.

الحصارين	السكاكنية
الحلاطجية	السكاكرية
الحفارين	السمارين
الحفافين	السمانين
الحلفاجية	السنتاجية
الحلوجية	الشبارلية
الحمارين	الشرباتجية (الشربتجية)
الحمالين[1]	الشواشية
الشماعين	السنتاجية
الحمايمية	الشبارلية
الحواتين	الصباغين
الخيازين	الصبانين
الخراطين	الصباولجية
الخياطين	الصفارين
الدباغين	الصقاطين
الدخاخنية	الأطباء
الدلالين	الطباخين
الرتايعية	الطرازين

[1] – الحمالين: تفرعت إلى عدة جماعات ثانوية على أساس جغرافي ومهني. انظر: بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص182.

الرصايصية	العساسين
الرقاقين	العطارين
الزبالين	الغرابلية
الزواقين	الغمادين
الزياتين	الفخارين
الصياغين	الفرازين
السراجين	الفنارجية
قرارطية	الكبابطية
قرطالجية	الكفكجية
الفراصدية	الكواشين
الفرانين	اللبانين
بائعي الخضر والفواكه	اللبلابجية
الغنداقجية	اللجامين
الفلكجية	المقايسية
القرارطية	المقفولجية
القزادرية	المكاحلية
القزازين	المسامعية
الفندقجية	النجارين
القوندقجية	النشارين

القهواجية	الهرقمجية
القوقجية	الوزاعين

ومن خلال قائمة الجماعات الحرفية، يمكن القول أنها اشتملت على أغلب ما تحتاجه المدينة من منتوجات وخدمات[1]، وبالتالي يتم تصنيفها إلى حرف إنتاجية وحرف خدماتية وحرف تسويقية.

1-الحرف الإنتاجية:

أ-حرفة سك النقود:

اختصت مدينة الجزائر باعتبارها مقر الإيالة (دار السلطان) بسك العملة المحلية دون غيرها من المدن، وكانت دار السكة أو العملة تقع قرب قصر الداي ثم نقلت إلى القصبة على يد الداي علي خوجة سنة 1817م، وحتى لا يقع تسرب للعملة أو تهاون في صنعها، اختير بعض الصناع الماهرين من اليهود للعمل بدار السكة تحت مراقبة أمين السكة وحددت لهم مرتبات تتحدد مع الكميات التي يقومون بصنعها من العملة وتتمثل مهارة عمال دار السكة في المحافظة على شكل النقود ومعيارها، رغم توفرها على آلات بسيطة من موازين وأحجار الرحى وقوالب صك العملة وسبكها.

كانت العملة الجزائرية إما ذهبية أو فضية أو برونزية أو نحاسية. كما يتم مزج المعادن الثمينة والتي تخضع لقوانين تحدد نسبة المزج وعدد القطع المضروبة للقنطار، وذلك من خلال شراء السبائك الذهبية والفضية من الصاغة ومن السكان الذين يملكونها بفضل غنائم البحر أو تستوردها دار السكة من البلاد الأوربية أو من أقطار السودان الغربي لأن مناجم الجزائر لم تكن تكفي دار السكة، كما يلجأ الحكام إلى استغلال كميات الذهب والفضة المودعة بالخزينة العامة لسد حاجة دار السكة أو تسديد قيمة المواد المستوردة.[2]

[1] – عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 152-154.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، مرجع سابق، ص ص 189-194.

ب-حرفة البناء:

عرفت هذه الحرفة ازدهارا كبيرا عند مجيء الأندلسيين وقدمت هذه الحرفة خدمات للدولة الجزائرية الحديثة إذ كانوا يتضامنون مع مختلف مدن البلاد الجزائرية لتعمير مدينة إذا ما أصابتها الحرب أو الكارثة الطبيعية، فقد استدعى الداي عمر باشا البنائين لإعادة بناء جزء كبير من السور الخارجي والجامع الكبير بصومعته إثر حملة إكسماوث 1816م على مدينة الجزائر[1]، وهو ما ذكره فاتح بلعمري عن عبد الرحمان بن إدريس التتلاني: "لم يكن هناك لا بيع ولا شراء وعامة أهل المدينة كانوا في هم وغم وغاية في الخوف... وبعد حدوث الصلح همت طائفة من البنائين في حدود سبعين معلما للبناء وأربعة عشرة مائة خديم في إصلاح ما هدمته هذه الحملة، ويضيف فاتح بلعمري أن العائلات الأندلسية تصدرت جماعة البنائين على غرار عائلة الثغري ومن العائلات المحلية: عائلة يعلاوي، العيشاوي، القشطولي.[2]

كما استدعى أغا العرب " يحيى" كل بنائي إقليم دار السلطان للمشاركة في إنشاء المدينة الجديدة "خزرونة " بجوار مدينة البليدة التي خربها زلزال 1824 بالإضافة إلى استعانة الحكام العثمانيين بالجزائر بمهندس إيطالي لبناء قنطرة مدينة قسنطينة وبالمهندس الحاج علي أمازيالي الأناضولي الذي بنى دار البارود بالقصبة سنة 1815م.[3]

ج-صناعة الحرير:

ذكر وليام شالر أن مدينة الجزائر تصنع منتجات حريرية مختلفة مثل الشالات والمناديل والأحزمة ونوع العمائم ولقماش الذي يطرز بالذهب وغيرها من المنتجات التي تلبس محليا. وقد أشاد بجودتها قائلا: "هذه المنتجات الحريرية أجمل وأمتن وألوانها جميلة

[1] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر، مرجع سابق، ص 184.

[2] – فاتح بلعمري، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 311– 312.

[3] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر، مرجع سابق، ص 185.

ودائمة إلا أنها تباع بأسعار أغلى قليلا من مثيلاتها من المنتجات الفرنسية والإيطالية وعموما لا توجد بضاعة أوربية تفوق المنتجات الجزائرية في هذا المجال".[1]

د-صناعة المدافع:

وجدت مسابك لصناعة المدافع بمختلف الأحجام بباب الواد بمدينة الجزائر توضع على السفن الحربية وبطاريات الحصون كما استخدمت في غزو الأرياف الممتنعة وتكون المسابك في شكل بناية بها قلعة تعلو بعشرين مترا مجهزة بفرن وخندق لاحتواء المعدن المنصهر.[2]

هـ-حرفة نسج الصوف:

كانت منتشرة في مختلف أرجاء الإيالة في المدن والقرى كما نجدها في منازل العائلات لتلبية حاجياتها العائلية وفي الورشات والمعامل بفرض الإتجار ويتم تحضير الصوف بطرق تقليدية (القرداش- المغزل) ثم يوضع في أوقيات تستعمل في نسج البرانس للرجال والحايك والشالات للنساء ونسج السجاد.[3]

و-حرفة المنتجات الجلدية:

خاصة من نوع السختيان المدبوغ باللون الأصفر أو الأسود أو الأرجواني أو الأحمر والذي كان يستخدم في صنع البابونج والأحذية والأسرجة وحافظات النقود المطرزة.[4]

ز-الحرف الخدماتية:

تعددت الحرف الخدماتية بمدينة الجزائر وترك أمر الإشراف عليها للفئات البرانية على أساس أنها حرف متواضعة ومن أهم هذه الحرف نذكر:

ح-حرف الفرانين:

---

[1] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 100.

[2] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر، مرجع سابق، ص 186.

[3] – وليام شالر، مصدر سابق، ص 94.

[4] – محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات، مرجع سابق، ص 131.

حيث اقتصر العمل في الأفران على بني ميزاب إلى غاية 1830م، أما أفران البايلك الموجهة لإعداد الخبز للجيش الإنكشاري والعبيد فكان يشرف عليها الجيجليون بمدينة الجزائر.

ط-حرفة الحمايمية:

يشرف على الحمامات العمومية جماعة بني ميزاب.

حرفة الهرقماجية.

حرفة اللبلابجية.

حرفة السفاجين: صانعي الفطائر المقلية.

حرفة القصابة أو الجزارة: احتكرها الميزابيون.

بيع الخضر والفواكه: قامت بها جماعة البساكرة.

حراسة الغنائم.

الحمالة: حاملي البضائع.

الاستخدام في المنازل.

تحضير الخبز.

الحراسة الليلية ومراقبة الشوارع وبوابات الأسواق والحومات ليلا تولاها البساكرة مع زواوة فيما يخص الحراسة الليلية.

الحرارة: ناسجي الحرير وبائعيه.

الدباغة: بائعي الجلود المدبوغة.

المقايسية: صانعي الحلي من مادة القرون الجاموس.[1]

المطلب الثالث: التجارة الداخلية والخارجية

[1] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر، مرجع سابق، ص 187. وانظر كذلك: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 475-476. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص ص 34-35.

إن مدينة الجزائر هي المحور الرئيسي للنشاط التجاري لكونها مقرا للجهاز الإداري المركزي لاستقرار التجار بها ولاتصالها بالخارج فهي بذلك مستودع للإنتاج المحلي ومحطة للتصدير ومركز لاستيراد البضائع والسلع الخارجية مما ساعدها على تطوير تجارتها وانتشار الأسواق والدكاكين بها بالإضافة غلى الفنادق والمقاهي...الخ.

يقع مركز مدينة الجزائر في الجهة السفلى للمدينة على طول الواجهة البحرية وتضم دار السلطان القديمة (قصر الجنينة)، وهو مركز قيادي للحكم وأجمل الصروح الدينية كجامع السيدة والجامع الكبير وأهم الشوارع باب الواد وباب عزون وباب الجزيرة...إلخ. أما في المجال الاقتصادي، فتحتوي على:

- ساحة البادستان (سوق العبيد)، وتمثل التقاء الشوارع التجارية.
- ساحة القيصرية: مقابلة لإحدى واجهات قصر الجنينة.
- السوق الكبير: يتوسط الساحة التي تقع بين قصر الجنينة والجامع الكبير.
- دار السكة: تقع في الجهة اليسرى لقصر الجنينة.
- بيت المال: يقع في إحدى زوايا القيصرية وتتوسط القيصرية وجامع السيدة.[1]

وهذا ما يؤكد تعدد وظائف مركز المدينة من وظائف سياسية وعسكرية ودينية واقتصادية، لذلك فهي أكثر تنظيما لمجالها الاستراتيجي نظرا لظروفها وعلاقاتها الدولية.

نالت الجزائر خلال الفترة الأولى من الحكم العثماني إعجاب الرحالة المغربي علي بن محمد التمكروتي قائلا: "عامرة كثيرة الأسواق...فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقيا وأعمر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواقا وأجود سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها إسطنبول الصغرى".[2]

---

[1] – سعيدة مفتاح، مرجع سابق، ص ص 11–13. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، مرجع سابق، ص38.

[2] – علي التمكروتي، مصدر سابق، ص 129. انظر كذلك: عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619–1694، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1984 –1985، ص 102.

كان ذلك خلال المرحلة الأولى من الحكم العثماني للجزائر حيث عرفت فيها المدينة توسعا ونموا ديمغرافيا إلا أن ظروف البلاد لم تستمر على نفس النسق بحيث شهدت الحروب مع الدول الأوربية وأزمات داخلية ممثلة في الأوبئة والثورات الشعبية مما أثر سلبا على المبادلات التجارية إضافة إلى فداحة الضرائب التي فرضها الباشوات على التجار المحليين والأجانب.[1]

كما ركز معظم المؤرخين الأوربيين على الغزو البحري وأهملوا التجارة الجزائرية حتى أنهم يقولون أن الاقتصاد الجزائري يقوم على القرصنة من السلع الأجنبية والمسيحيين الذين يتم افتدائهم وهو ما نسعى إلى دحضه و إثبات عكسه.

1-التجارة الداخلية:

سيطرت مدينة الجزائر على العلاقات التجارية الداخلية مع باقي مدن الإيالة وكان ذلك راجع لدورها السياسي المتمثل في مقر السلطة الحاكمة ولكثرة سكانها مما جعلها أكبر مركز لاستهلاك السلع والمنتجات التي تصب في أسواقها من المناطق القريبة منها أو من البياليك الثلاث.

تأتي المواد الغذائية من متيجة وشرشال والبليدة ومن المناطق الجبلية والجنوبية وفي الشارع الرئيسي لمدينة الجزائر الممتد من باب عزون إلى باب الوادي عامرا بالحوانيت التجارية ويبيعون فيها السلع المختلفة وكل فئة متخصصة في بيع سلعة معينة، فالأهالي يبيعون المواد الغذائية والأندلسيون يبيعون الخردوات أما اليهود فيبيعون المجوهرات ويدل على ازدهار التجارة وكثرة التجار الوافدين على المدينة كثرة المقاهي (60 مقهى) واحتوائها على عدد من المخازن لتخزين السلع المستوردة وكذا عدد من الفنادق للإقامة والتجارة.[2]

---

[1] – مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دون طبعة، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دون تاريخ، ص 309، انظر كذلك: محمد بن سعيدان، العلاقات الجزائرية مع فرنسا 1659-1756، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي، غرداية، 2011-2012، ص 60.

[2] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص ص 335-337.

ففي الربع الأخير من القرن السادس، كانت مدينة الجزائر تضم حوالي 2000 حانوت توزعوا على نحو ستين سوقا بين صغير وكبير إضافة إلى السويقة وهي أقل من السوق.[1]

كانت التجارة الداخلية تتم عبر شبكة من الطرق ويمكن تقسيمها إلى نوعين من الطرق:

أ-الطرق الرئيسية:

تعرف بالطرق السلطانية، وكانت تربط بين دار السلطان (مدينة الجزائر) والبياليك (قسنطينة، المدية، مازونة، ثم معسكر ثم وهران) ونجد بهذه الطرق الأبراج والقناطر والأنزال وتحرسها قبائل المخزن لتأمين المبادلات التجارية بين مختلف البياليك ودار السلطان.

ب-الطرق الثانوية:

تربط بين مدينة الجزائر وأهم مدن وقرى دار السلطان، كما عرفت هي الأخرى عناية الحكام بها من خلال إنشائهم للجسور والعيون مما سهل تنقل الأفراد ونقل البضائع، وأهمها طريق البليدة وطريق القليعة وطريق دلس...عبر القوافل التجارية وعلى ظهور البغال والحمير والجمال بحيث تنقل إلى مدينة الجزائر الخضر والفواكه والزيت والحبوب والجلود. وتعود محملة بمنتجات حرفية محلية الصنع ومواد مستوردة من الخارج (قهوة، سكر، توابل، عطور، ورق).[2]

كما يتم نقل السلع أيضا عن طريق الملاحة الساحلية رغم قلتها بين مدينة الجزائر والمدن المطلة على البحر في قوارب أو سفن صغيرة تخضع لمراقبة صارمة من طرف البايلك حيث أسندت مهام تنظيم ومراقبة الأسواق إلى المحتسب حيث يقوم بمراقبة النشاط التجاري والحرفي عن طريق التأكد من المكاييل والموازين وجودة البضائع والسهر على ثبات

[1] – محرز أمين، مرجع سابق، ص 132. انظر كذلك: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، مرجع سابق، ص ص 260-261. حيث أحصت واحد وأربعون سوقا وثلاث سويقات، ص ص 262-263.

[2] – صالح عباد، مرجع سابق، ص339. انظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، مرجع سابق، ص 38. انظر كذلك: أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 340.

الأسعار ومعاقبة المخالفين[1]، ويتم فرض رسوم على حوانيت التجار يجبيها أمناء وخوجات لذات الغرض.

الجدول التالي يمثل قائمة لبعض واردات مدينة الجزائر من الأسواق المحلية.[2]

بجاية	الخشب – الحديد – الأدوات الحديدية
بسكرة	الجمال – التمور – الحناء – الحايك
البليدة	الصوف – البرانس – الفراصد – الثلج
تلمسان	الحايك – البرانس
بايلط التيطري	الصوف – الأغنام – القرمز
جيجل	الخشب
دلس	العنب
أوطـــــــان دار السلطان	الخضر – الفواكه – الخشب –الفخار
شرشال	العسل – العنب – التين – التمور
عنابة	المرجان – التبغ –الزبدة –القديد
الصحراء	ريش النعام – الجمال – التمور
بايلك الغرب	الحبوب – الخيل –الملح
بلاد القبائل	التين المجفف – الزيت – الزيتون – الصابون – الفحم
قسنطينة	القمح – الصوف – جلود الماعز – البرانس –الزرابي
القل	الشمع – الزبدة – الزيت – التين
معسكر	القرمز

[1] – محرز أمين، مرجع سابق، ص 134.

[2] – محرز أمين، الجزائر في العهد العثماني، ص 134.

وما يمكن استنتاجه أن التجارة الداخلية كانت مراقبة من طرف الإدارة التي حققت إثراء للخزينة وإخضاعا للقبائل.

- مد نفوذ السلطة العثمانية من خلال الأسواق في مختلف الجهات وتم تجنيد الأعوان في شكل قبائل المخزن.
- ساهمت الإدارة في ازدهار المدن في مختلف جوانبها مما انعكس بالإيجاب على مستوى المعيشة.

2-التجارة الخارجية:

لم تقتصر التجارة الجزائرية على المستوى الداخلي بل امتدت إلى ما وراء الحدود إلا أن المؤرخين الغربيين يحاولون التقليل من أهميتها على اعتبار أنها لا تتلك المصنوعات التي تمكنها من التصدير وأن المبادلات التجارية تتم بالأموال وأن تجارتها مخصصة للاستهلاك المحلي، أما السلع المستوردة من الخارج فهي قليلة وذلك لمعيشتهم الضعيفة، وهناك من ينفي وجود تجارة إطلاقا وأن اقتصادها قائم على مداخيل القرصنة.[1]

لقد كان لمدينة الجزائر تجارة خارجية مع مختلف المناطق والأقاليم منها مع بلدان المغرب العربي كإيالتي تونس وطرابلس ومع المغرب الأقصى، وكذلك مع بلدان إفريقيا السوداء وبلدان المشرق العربي وكذلك مع دول أوربا.

ارتبطت أغلب المدن الرئيسية مثل تلمسان والجزائر وقسنطينة وعنابة وورقلة بالتبادل التجاري عن طريق القوافل التجارية باتجاه المغرب الأقصى وأقطار المشرق والسودان[2]، حيث مثلت القوافل أهم الآليات في عمليات التبادل التجاري المحض وباتجاهات مختلفة سواء للقوافل التجارية أو لركب الحجيج وما يرافقه من فرصة التبادل التجاري خاصة تلك التي تقع على طريق الحج حيث أهلها موقعها أن تلعب دورا مهما في عملية التبادل

[1] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، المجتمع الجزائري وفعالياته، ص 346.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 39.

التجاري، حيث يتزود الحجاج بالمؤن أثناء الذهاب وفي طريق العودة يصرفون أجزاء من السلعة التي يجلبونها معهم من المشرق.[1]

كما أكدت حسام صورية على أهمية طرق القوافل: " فهي من أقدم وأشهر الوسائل في نقل البضائع لمسافات طويلة ولها صلات ثقافية وروابط اجتماعية بين الجزائر ودول المغرب الغربي وذكرت أهم الطرق التي تسلكها القوافل والتي تمر على مدينة الجزائر هي: الطريق العرضاني الشمالي الذي يمتد من فاس إلى تونس مرورا بوجدة، تلمسان، وهران، الجزائر، قسنطينة، الكاف.[2]

كما ارتبطت تجارة الجزائر الخارجية مع إيالة تونس بمدينة سنطينة وتجارة الجزائر مع المغرب الأقصى بمدينة تلمسان وذلك لعامل القرب بينهما حيث كانت تنتقل من قسنطينة ما بين 200 إلى 300 بغل محملة ببضائع تبلغ قيمتها مليون فرنك لتباع في تونس بمليون ونصف فرنك.[3]

ويصدر من الجزائر إلى تونس الأقمشة الصوفية والتمور والقبعات من سعف النخيل أما الاستيراد منها فتمثل في العطور والأقمشة الحريرية والشالات والحياك، أما مع المغرب الأقصى فقد كانت ضعيفة نسبيا تمثلت في نفس المواد التي تتعامل بها مع تونس، أما ما تستورده منها كمية كبيرة من الجلود والأحذية ويقوم بها الخواص. أما دور الدولة فيقتصر على جمع الضرائب والرسوم الجمركية[4]، أما مع بلدان المشرق العربي، على غرار مدن الإسكندرية التي اتخذت محطة رئيسية لتوسطها بين الشرق والغرب واستأجروا بها وكالات ومخازن وكذلك مع مدن دمياط رشيد، السويس، القاهرة، أزمير. فيستوردون من القاهرة البن

---

[1] – رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 17 و18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013 – 2014، ص ص 96 – 97.

[2] – حصام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتومس خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012–2013، ص ص 146–146.

[3] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص 497. انظر كذلك: مبارك الميلي، مرجع سابق، ص ص 341–342.

[4] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، مرجع سابق، ص ص 349–351

والأرز ويصدرون لأزمير الخدم والحياك والمواد الغذائية والأحزمة وأهم المبادلات بين المشرق والمغرب رحلة الحج، حيث يقام معرض كبير للمبادلات التجارية حيث يجلبون الحرائر الدمشقية والقطنيات المصرية والأقمشة المطرزة.[1]

إن التجارة الجزائرية مع بلدان المغرب والمشرق العربيين فتعتمد على الحاجات الكمالية أما التجارة مع بلاد السودان فتعتمد على الحاجات الضرورية إلى جانب بعض الكماليات مقابل استيراد العبيد والتبر وريش النعام. وقد أصابها الضعف في بداية القرن 19م للأسباب التالية:

- انفتاح بلاد السودان على المحيط الأطلسي.
- إلغاء النخاسة.
- انعدام الأمن بالطرق الصحراوية.
- بعد المسافة وصعوبة المسالك.[2]

أ-التجارة مع أوروبا:

تتم عبر الطريق الثاني وهي الطرق البحرية التي تربط موانئ الجزائر بصفة عامة وميناء مدينة الجزائر بصفة خاصة، حيث ربطتها بموانئ ليفورن وجنوة ومرسيليا وطولون إضافة إلى موانئ تونس وقابس وطرابلس الغرب وأزمير واستانبول.[3]

كان ميناء الجزائر مزدهرا قبل حلول العثمانيين بالجزائر عام 1519م وبوصولهم لم يتغير الوضع شيئا، فاستمر التجار الأوربيون يتوافدون عليه وشكل الفرنسيون عنصرا هاما في ذلك على الرغم من أن جل النشاط التجاري انفرد به الإنجليز والهولنديين، حيث كان تركيز النشاط التجاري الفرنسي على موانئ شرق الإيالة، وبذلك أفل نجم معظم موانئ الجزائر وركد نشاطها باستثناء موانئ الشرق الجزائري مع مشاركة ضعيفة لموانئ الوسط

[1] – أرزقي شويتام، نفس المرجع، ص ص 352-353. انظر كذلك: حصام صورية، مرجع سابق، ص 147.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، مرجع سابق، ص 40. انظر كذلك: رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 97.

[3] – محمد بن سعيدان، مرجع سابق، ص 61.

كميناء الجزائر[1]، وذلك يعود لأهمية المرجان بالساحل الشرقي ووفرة الإنتاج الفلاحي والرعوي وتمركز المؤسسات الفرنسية بالمنطقة.

أما المواد التي كان يتم تداولها في التجارة الخارجية فهي مزيج من الضروريات والكماليات. فقد كانت الإيالة تصدر إلى أوربا مواد غذائية وحيوانية (الحبوب، الشمع، المرجان، الصوف، الجلود...الخ.) وتستورد منها الأقمشة والخردوات وبعض المنتجات الصناعية بالإضافة إلى كميات ضئيلة من المواد الغذائية (مثل: الملح والجبن والمربيات ...إلخ) والمواد الأولية (مثل الحديد، الرصاص، النحاس، الكبريت، وملح البارود) التي يحتاجها البايلك في صناعته الحربية.[2]

كان ميناء الجزائر يستقبل جل البضائع المستوردة عن طريق البحر ثم توزع على الأسواق المحلية في حين يتم التصدير عبر مختلف موانئ الإيالة كما أن الجزائر لا تمتلك أسطولا تجاريا بأتم معنى الكلمة، وإنها كان يضم عددا قليلا من السفن (المراكب) وبضع عشرات من القوارب التي لم تكن تتجاوز طرابلس الغرب شرقا وسلا غربا وبذلك لجأ الجزائريون إلى نقل بضائعهم على متن السفن الأوربية وخاصة الفرنسية ولرحلاتهم نحو المشرق يستأجرون في بعض الأحيان إحدى سفن الرياس[3]، وذلك من أجل حمايتهم وحماية بضاعتهم الثمينة من الوقوع في أيدي القراصنة المسيحيين.

وما يمكن ملاحظته أنه على الرغم من تنوع التجارة الداخلية والخارجية فإن الأرباح التي تدرها تذهب لليهود وكبار الموظفين والضباط الأتراك الذين لا يهم تطوير وسائل الإنتاج بقدر ما يهم تكديس الأموال.

- تراجع تجارة العبيد مما أدى إلى اختلال اقتصادي.
- تناقص موارد القرصنة وانحصار التجارة الخارجية بفعل الاحتكارات الأجنبية مما جعل أصحاب الامتيازات يتوجهون إلى الأرض بواسطة ما يفرضونه من ضرائب

[1] – عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية، مرجع سابق، ص ص 102–103.

[2] – محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات، مرجع سابق، ص 136.

[3] – محمد بن سعيدان، مرجع سابق، ص 61. وانظر كذلك: محرز أمين، مرجع سابق، ص 136.

فادحة مما جعله يؤثر على طبقة فئات المدن التي تستمد ثرواتها من التجارة والقضاء على قاعدتها العقارية.

- تركت التجارة الجزائرية بين أيدي العائلات اليهودية وبعض التجار الأوربيين الذين يتعاملون مع الاحتكارات التي تمثل مصالح الداي والبايات.
- أثرت السياسة الجبائية على تطور التجارة مما حرم الخزينة الجزائرية من موارد هامة.[1]

وفي تقرير يتحدث عن الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، ومحفوظ في مكتبة ويليام كليمانتز التابعة لجامعة ميشيغان (إن أزبر) ذكر أبو القاسم سعد الله أن الصادرات والواردات الجزائرية نحو مرسيليا ومنها إلى الجزائر يقوم بها الفرنسيون، وأما صادرات وواردات الجزائر نحو ليفورن ومنها الجزائر يقوم بها اليهود، أما البضائع الواردة من السويد فموردها قنصل السويد.[2]

والجدول التالي يمثل قائمة لأهم الصادرات والواردات بين الجزائر والأسواق الخارجية:

البلد	أهم الأسواق	المواد المصدرة	المواد المستوردة
إيطاليا	– ليفورن – جنوة	قمح – جلود – شمع – صوف – ريش النعام – عطر الورد–قطن.	أرخام – ورق – زجاج – مرايا – خرز – أولني فضية – أجبان – قرنفل –ثريات–مرجان – مصاغ – أجواخ – حرير –حبال
فرنسا	مرسيليا	حبوب – مرجان – شمع – صوف – جلود – قرون – خيل – ريش	أجواخ – أقمشة قطنية – مخمل قطيفة – حرير – منادف–مصاغ – زر قرنفل–فواكه مجففة–شب

[1] – مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 308–310.

[2] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص ص 315–316.

		النعام – زيت – غنم – تين	جوز الطيب – مربيات قرمز – دردي – نحاس – حديد – فولاذ– بارود – خردوات – كبريت – ملح – أجبان – عرق – خمر.
إسبانيا	بليار	قمح–جلود	
إنجلترا	لندن	شمع – جلود–حبوب – صوف–ريش النعام – غنم	حديد – رصاص – قزدير – لأنسجة قطنية – ملح البارود – بارود – أجواخ – خل – عرق – أغطية – أجواخ إسبانية – ريالات إسبانية.
المغرب	فاس تطوان تافيلالت	صوف–برانس – عطور – شمع – شالات – قرمز – جلود – ريش النعام – خردوات – أقمشة حريرية.	حياك – زرابي – عسل – سكر – تبغ – عبيد – ذهب – عاج – فيلالي – خيل – سروج – كحل – أواني نحاسية.
السودان	تمبكتو سقاطو كاتشنة كانو أغادس	حبوب – زيت – تمور– توابل – سكر – قهوة – شاي – حياك – أقمشة – ورق – شواشي – حرير–عطور – أسلحة نارية – بارود–خردوات.	عبيد – عاج – تبر – جلود – بخور – عقاقير – عسل – شمع – فول سوداني – ريش النعام – حشيش.
تونس	تونس قفصة	أحزمة حريرية – صوف – جلود خام ومدبوغة –	شواشي – قطن – أقمشة حرائر – قهوة – زيت – زيتون – توابل –

	غدامس	برانس – حياك – شواشي – فراصد – تبغ – تمور – شمع.	صابون – زليج – مصنوعات أوربية – كبريت – ملح البارود – عطور.
طرابلس	طرابلس غاث مرزوق	حرائر – عطور – جواهر – أقمشة – مصنوعات أوربية – حياك – تمور – ورق – أسلحة.	عبيد – تبر – عاج – بخور – ريش النعام – أقمشة قطنية – حمير مصرية.
مصر	الإسكندرية القاهرة الرشيد دمياط	حياك – شواشي – بوابيج–أحزمة حريرية – ذهب – شمع – مرجان – زبدة –عسل.	حرير سورية – أقمشة قطنية – قطن مغزول – كتان – قهوة – أرز – توابل – سنا – عطور – نطرون – قرطم – النبل الهندي
تركيا	إزمير إسطنبول	حياك – عبيد – أحزمة حريرية – مصنوعات أوربية – جلود – شمع.	أقمشة هندية – أقمشة قطنية– حرير خام – حرير موصلي – زرابي – عمائم – قطن – شب – توابل – زبيب –خردوات – بندق – أفيون – زفت – أسلحة.

وما هو ملاحظ من خلال الجدول:

- أن معظم صادرات الجزائر عبارة عن مواد غذائية أساسية سواء فلاحية وحيوانية أو مصنعة.
- أن معظم واردات الجزائر عبارة عن مواد كمالية لا يستفيد منها عامة الناس وإنما أفراد الدولة الحاكمة.
- كبر حجم الواردات وقلة حجم الصادرات مما يؤدي إلى عجز في الميزان التجاري.

- مارست الجزائر تجارتها مع دول كبرى (فرنسا، إسبانيا، إيطاليا) وكذلك مع دول ضعيفة (السودان، طرابلس، تونس).
- شملت مختلف المواد الزراعية والحرفية.

وما يمكن استنتاجه:

- سيطرة اليهود والتجار الأوربيين على التجارة الداخلية والخارجية للجزائر.
- قلة وسائل النقل البحرية ولجوئها للسفن الأجنبية مما يقلل من قيمة الأرباح.
- احتكار الدايات والبايات لمعظم المنتوجات الخاصة بالتجارة ولا يتم تصديرها إلا برخصة من الداي مثل الحبوب والصوف والجلود حيث يتم شرائها من منتجيها بأثمان زهيدة ويبيعونها لليهود بأضعاف ثمن شرائها.
- كان لسياسة فرض الضرائب على القطاع التجاري الأثر السيء على تطوير القطاع وازدهاره مما قلل من الإنتاج الفلاحي والصناعي.
- تشابه السلع بين بلدان المغرب العربي مما قلل من علبات التصدير والاستيراد فيما بينها.
- كان لهجرة الأندلسيون الأثر الإيجابي على عمليات الإنتاج في مختلف المجالات الزراعية والصناعية والتجارية، إلا أن اهتمام الدايات والبايات باليهود والأتراك العثمانيين الذين فرضوا الضرائب الكبيرة على السكان مما يؤثر سلبا على الإنتاج المحلي.

المبحث الثاني: الحياة الثقافية في مدينة الجزائر

من المعروف عن الترك لا سيما منهم العثمانيون أنهم ليسوا بأمة حضارة مبدعة، فرغم طول مكوثهم بالجزائر لم نرى لهم مدينة أنشأوها أو أرضا مواتا أخصبوها مثلما فعل من بلهم...عدا بعض القصور أو مساجد أو ثكنات للحرب وما كان شغلهم الشاغل إلا الحرب والغزو فكانت لهم فيها مواقف مشرفة.[1]

فإذا كانت هذه هي الطبيعة البشرية للإنسان التركي العثماني فكيف تنتظر منه أن يشيد المدارس والجامعات والإنفاق على المعلمين والمكتبات، وكما يقال " فاقد الشيء لا يعطيه".

ويؤكد محمد بن عبد الكريم في تقديمه وتحقيقه لتحفة المرضية أن الثقافة في الجزائر على العهد العثماني رهن فراش الاحتضار وسبب ذلك ضعف الحضارة والعمران واشتغال الجزائريين بالبحث عن قوت يومهم وعدم استقرارهم بفعل الحروب الداخلية والخارجية وعلى اعتبار أن الأتراك لم يكونوا دعاة ثقافة وإنما كانوا رجال حرب[2]، لكن، على الرغم من طبيعة الإنسان التركي العثماني والظروف المحيطة بالجزائريين إلا أن ارض الجزائر لم تكن أرضا جرداء في جانبها الثقافي من خلال وجود الزوايا والمساجد وبعض المدارس (الأساتذة والعلماء) التي كانت تعمل على نشر الثقافة بصفة عامة والتعليم بصفة خاصة.

منذ اتخاذ مدينة الجزائر عاصمة سياسية وعسكرية من طرف العثمانيين أصبحت مركز ثقل البلاد كلها، مما ساهم في بروزها كأكبر الحواضر في الثقافية بالجزائر[3]، وذلك بشهادة الرحالة المغاربة كعبد الرحمان الجامعي الذي شبهها بمدينة فاس بقوله: "أما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثلما فارقته من أدباء بلدي وبها تذكرت ما كان نسيه خلدي...

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص ص 519–520.

[2] – محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط2، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 45–46.

[3] – فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 1520–1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013–2014، ص 20.

وأنها لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أباء وأعلام خطباء مساجدهم بالتدريس معمورة ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة".[1]

ويؤيد ذلك ما شهد به محمد بلقاسم ابن زاكور من خلال وصفه لعلماء مدينة الجزائر حيث أخذ عنهم و أجازوه سنة 1094هـ/ 1672-1673م قائلا: "غرر أعلام ينجلي بهم الإظلام وشموس أئمة تتفرج بهم كل غمة تفتخر بهم أحبار هذه الأمة من رجال كالجبال وأحبار كالأقمار طلعوا في بروج سعودها بدورا ألبسوها رواءا ونورا فاهتديت بأنوارهم السنية فتمتعت ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت..."[2] كما ذكر العلوم والكتب التي كانت تدرس من خلال عبد الرحمان الجامعي وبن زاكور يتضح أن الحركة الثقافية والعلمية كانت محصورة في مناطق معينة (أي جهوية) وما ميزها أنها كانت دينية أكثر منها أدبية وذلك راجع لاهتمام السلطة الحاكمة برجال الدين من أجل توطيد أكان الحكم ولمساعدتهم في حكم الرعية، وإذا نظرنا إلى العلوم العقلية كانت نادرة.

وقد فسر أبو القاسم سعد الله تدهور الثقافة كان قبل قدوم الترك وشيوع كان منذ القرن الخامس الهجري حيث سبقت أفكار محي الدين بن عربي الترك إلى الجزائر وتحدث حسن بن باديس عن عبد القادر الجيلاني، كما شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وأحمد زروق كما سبقت وجود العثمانيين انتشار الطريقة الشاذلية والقادرية، وبذلك يتضح بأنه لم يكن للعثمانيين اهتمام بالدين إلا إذا كانت له عواقب على الحكم والأمن حيث كانت لهم سياسة خاصة حول الطرق الصوفية ولأهمية هذه الطريقة عند السكان حاول العثمانيون التفاهم مع مرابطيها من خلال تحالف

[1] – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص ص 202-204.

[2] – ابن زاكور الفاسي، مصدر سابق، ص ص 40-41.

العثمانيين مع أحمد بن يوسف الملياني وظل التفاهم والتحالف قائما آن ذاك يضمن لهم العيش، المكانة، والتعويضات.[1]

أما عن دورها في السياسة التعليمية فيكاد يكون غائبا وهو مقصورا على مبادرات شخصية لبعض الحكام الذين كانوا يشيدون المدارس بأموالهم الخاصة ويعينون عليها مدرسين ويشجعون العلماء وبعض الزوايا الذين يخدمون سياستهم فيقدمون لهم الدعم المادي والمعنوي على غرار باي معسكر إبراهيم الملياني 1751-1756م والباي محمد بن عثمان وكذلك صالح باي.[2]

المطلب الأول: المساجد والزوايا

ترتبط الثقافة بمدينة الجزائر أساسا بعدد الزوايا والمساجد لأن صورة التعليم بها كانت تعتمد على المعارف العامة والثقافة التقليدية والتي تقوم على الإلمام بأصول الدين واستظهار القرآن الكريم وفي متابعة العلوم الشرعية عند المتمكنين خاصة القادرون منهم على التنقل إلى المشرق أو المغرب العربيين وهو دليل عدم اهتمام الدايات بميدان التعليم والثقافة بقدر اهتمامها بتقدير العلماء والمرابطين لتكسب بهم ود الشعب لذلك سارع الحكام العثمانيين إلى بناء العديد من الزوايا والمساجد في المدن الكبرى وأوقفوا عليها أملاكهم ويعين منهم القضاة والقائمين على المساجد وهو ما يفسر وجود مفتيين واحد بالمسجد الأعظم ويخطب به مفتي السادات المالكية والثاني بالمسجد الجديد ويخطب به مفتي السادات الحنفية.[3]

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص ص 185-188.

[2] – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص ص 484-485.

[3] – محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص ص 57- 58.

1-المساجد:

المسجد هو مكان سجود المصلي، لذلك فكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد[1]، أما الجامع فهو المكان الذي تقام فيه صلاة الجمعة وسمي به لجمعة الناس في المسجد ويقال له المسجد الجامع. وارتبطت الجمعة بالإقامة والاستيطان.

وهي إحدى ركائز العمران الإسلامي وقد كان الجامع أول مبني يرفع عند إنشاء المدن الجديدة أو فتح مدن قائمة.[2]

المساجد من أقدم المؤسسات الثقافية فمنذ ظهور الإسلام تولت الوظيفتين الدينية والتعليمية وتنسب لمؤسسيها أو الأحياء الواقعة بها كجامع باب الجزيرة أو ينسب لصنعة أو حرفة. كما تواجدت في مختلف المدن والقرى كالجامع الكبير بمدينة الجزائر والذي يعقد أسبوعيا فيه المجلس الشريف.[3]

وقد ذكر كل من حمدان خوجة و.ج. أوهابنسترايت المساجد في مدينة الجزائر حيث قال الأول بني يوسف بن تاشفين في مدينة الجزائر في مدينة الجزائر الجامع الكبير سنة 460هـ/ القرن 11م[4]، أما ج. أوهانسترايت فيصفها بأنها " متقنة البناء منها عشرة مساجد كبيرة ذات منارات، أما الصغيرة فهي أكثر من خمسين مسجدا وتفرش المساجد بالحصائر والزرابي وبنايتها تشدها عرصات قوية تتدلى بها قناديل من الزجاج وتظل المساجد مفتوحة طيلة اليوم لأداء الصلوات الخمس ويرفع الأذان من المنارات إيذانا بحلول وقت الصلاة[5]، قائلا " حي على الصلاة، حي على الفلاح" ومن أهم المساجد بمدينة الجزائر:

---

[1] – فاتح بلعمري، مرجع سابق، ص 88.

[2] – مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830. سلسلة الدراسات الفقهية (5)، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص 57.

[3] – بخوش خوجة، وضعة التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد2، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2008، ص137.

[4] – حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 70.

[5] – ج. أوهابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 37-38.

أ-الجامع الأعظم:

يعد أقدم وأكبر الجوامع بها، وهو مخصص للمذهب المالكي مقر المفتي العام والإمام الخطيب ومقر المجلس العلمي الذي يعقد لحل المسائل المستعصية، يضم قاضيين ومفتيين للمذهبين المالكي والحنفي. شكل الجامع مستطيل، مساحته 2000 متر مربع[1]، طوله 48 متر مربع، وعرضه 40 متر مربع. كما توجد به غرف للإمام وموظفي المسجد في الجهة الجنوبية الغربية وفي الجهة الشمالية الشرقية مصلى الجنائز وغرف المؤذنين وله مساحة صغيرة تتوسطها نافورة وسطح المسجد قرميدي وفي وسطه نجد قبة وتغطي المحراب مئذنة في الجهة الجنوبية قاعدتها شبه مربعة 06م وارتفاعها 17م.

بني في 17 ذي القعدة 722هـ وأنهي بنائه في رجب 723هـ على عهد أبو تاشفين وله إمامان للصلوات الخمس، ويصلي المفتي المالكي الظهر والجمعة والعيدين (وباقي الموظفين حامل عصا الإمام حاجب المفتيين 19 فقيها وأستاذا و18 مؤذن و8 خزانين و3 وكلاء أحدهم لإدارة إحباس المسجد والثاني يشرف على إدارة أحباس المؤذنين والثالث يشرف على أحباس الخزانين و8 كناسين و2 شغالين)، مداخيله كبيرة جدا تصرف على الموظفين والمسجد.

ب-الجامع الجديد:

أنشئ على باب البحر على حساب سيل الخيرات، كان ذلك سنة 1170هـ/ 1660م وعلى عهد البكباشي خليل آغا[2]، كما وصفه مصطفى بن حموش قائلا: " مبنى عظيم يطل على البحر مساحته 1371م مستطيل الشكل طوله 3950م وعرضه 24م. سمك جداره 01م، يعلو المسجد قبة كبيرة وتحيط بها 04 قبب صغيرة ومئذنة على الجانب الشمالي الغربي وارتفاعها 2950م، كما وضعت سلطات الاحتلال عليه ساعة كبيرة ولا يحتوي المسجد على الزخرفة، وللمسجد 04 أبواب أحدهم في الواجهة الجنوبية الغربية والثانية جهة

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، مرجع سابق، ص ص 49-51.

[2] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص 531.

الجنوب (المرسى) وهو مخصص للمذهب الحنفي ومقر للجلسات القضائية لأتباع المذهب الحنفي.[1]

ج-جامع السيدة مريم:

ذكر عبد الرحمان الجيلالي انه أسس على عهد إسماعيل باشا 1671م وتم ترميمه على عهد أحمد باشا 1805 – 1808م وحطمته سلطات الاحتلال الفرنسي.[2]

يقع هذا المسجد على بعد بضعة أمتار من القبة الكبرى لباب الواد، وهو مسجد صغير وسمي بمسجد بن نيقرو وهي العائلة التي أدارت شؤونه حوالي قرنين من الزمن وسمي بجامع السيدة مريم، ويعود لامرأة صالحة غنية فسبلت جزء من أموالها لبناء المسجد أو لإعادة بنائه. وحسب ديفولكس، فإن المسجد يعود لسنة 1364/ 1365م وكان يدعى مسجد سيدي بركات الباروني. لذا فإن السيدة مريم تكون قد رممته سنة 1096هـ/1684-1685م وحول أيام الاحتلال لإدارة عسكرية ثم هدمته إدارة الطرق والجسور جزء منه عام 1837م لأنه يقع على ممر الشارع العام والجزء الباقي مساحته 58.89متر مربع.

بنيت فيها دار تحمل الرقم 40 على شارع باب الوادي ورقم 02 شارع سيدي فرج وبلغت مداخيل أحباسه سنة 1834 بعد تهديم 08 أحباسه 1261 فرنكا وللمسجد بابان، أحدهما يفتح على شارع باب الوادي ويحمل الرقم 277 ثم 225 والآخر يفتح على شارع سيدي فرج.[3]

د-مسجد علي بتشين:

يقع في نقطة التقاء شارع باب الواد والقصبة فهو مسجد جامع سمي نسبة لمؤسسه أميرال بتشينيني الإيطالي الأصل ولما أسلم أعتقه فتح الله بن خوجة بيري 1007هـ /1599م وأخذ اسم علي بتشين ابن عبد الله.

---

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، مرجع سابق، ص ص 60-62

[2] – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 526.

[3] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، مرجع سابق، ص ص 25-26.

مساحة المسجد 500 متر مربع، واجهته الشرقية على شارع باب الوادي وأسفل قاعة الصلاة توجد 07 حوانيت ومدخل يؤدي إلى الضريح محرابه على شكل جناح مئذنته مربعة الشكل، طولها 15م عند التقاء الشارعين وتحتها عين للشرب أما واجهته الجنوبية على شارع القصبة تضم 09 حوانيت ومدخل رئيسي وكتب على دفة الباب "ما شاء الله" كتبها أحمد بن لبلاجي أمين النجارين. قاعة الصلاة مربعة الشكل تعلوها قبة مثمنة تحيط بها 24 قبة صغيرة تستند على 04 أعمدة رئيسية و08 أعمدة ثانوية، أما قاعة الوضوء فهي خارج المسجد على امتداد الواجهة المطلة على شارع القصبة.

بني المسجد سنة 1023هـ/ 1622-1623م وأخذ المسجد اسم سيدي المهدي في عام 1115هـ/1703م نسبة لوكيل المسجد، أما أحباسه فهي أرضا و03 دور و17 حانوت و03 غرف وفرنا ومصاريفه 744 فرنكا، وقد خصص المسجد للمذهب الحنفي وموظفيه وكيل، إمام، حزاب، خطيب، كناس، 03 مؤذنين وباش مؤذن.[1]

هـ-جامع السفير:

بني المسجد في رجب 940هـ على يد القائد صقر بن عبد الله حيث كان عبدا مسيحيا للباشا خير الدين ثم أعتقه وأصبح من قارئي القرآن وانتهى من بناء مسجده في 02 ربيع الأول 941هـ/ 11 سبتمبر 1534 حيث أنجز في مدة 09 أشهر وأوقف عليها خير الدين 10 زويجات ثيران حوالي 10 هكتار.

يقع المسجد في سيدي يخلف نواحي سطاوالي كما وقف عليه أرض طاحون تقع في منطقة وادي الزويف بني عليها مبان. رممه الداي حسين في 1242هـ/1826م، ويعتبر من أهم مساجد المدينة جمالا واتساعا، مساحته 399.50 متر مربع وأعمدته مستديرة ومنخفضة عددها 08، منها 04 رخام و04 من الحجارة تحمل قبة كبيرة ذات 08 أضلع ومحراب المسجد مزخرف بخزف أبيض وأزرق ومئذنة مثمنة منخفضة.

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، مرجع سابق، ص ص 27-28.

يطل على شارعين، الأول مونثابور والثاني كليبر وباب ثالث غير مباشر يفتح على ميضأة ومصلى الجنائز حول ساحة لها سبعة أعمدة من الحجارة وباب ثانوي يفتح على شارع سيدنس سميت.

و-جامع كتشاوة:

أنشأه حسن باشا سنة 1210هـ /1795م، وقد قام الاستعمار الفرنسي بتهديمه سنة 1235هـ/1832م وأقيم بمكانه وحجارته كاتدرائية القديس فيليب حيث صرح الجنرال روفيغو لما عزم على تخريب المسجد لرفقائه قائلا: " يلزمني أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبد إله المسيحيين"[1]، وبعد الاستقلال احتفل بفتحه يوم الجمعة 2 نوفمبر1962 م وبإمامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وبحضور شخصيات عربية ومن مختلف الأقطار الإسلامية.[2]

في حين ذكر مصطفى بن حموش أن مسجد كتشارة بني سنة 1021هـ/1612م وسعد الباشا حسن سنة 1210هـ/1794م -1795م حيث أعيد تصميمه وفق السيدة مريم، وللمسجد ردهة في الوسط تحيط به أعمدة من الرخام وله سدة من الجوانب تقطع ارتفاع الأعمدة وتغطي الردهة قبة مثمنة والمحراب في الواجهة الشرقية حيث يوجد باب صغير أما البوابة الرئيسية فتقع في الجنوب كما وقف عليه الباشا حسن عدة مباني داخل المدينة لتصرف على الخطيب والمؤذن والخزانين والفراشين والشغالين والفقهاء والباقي على القناديل والزيت والفرش...وتشرف عليه سبل الخيرات المنفقة.[3]

إن المساجد التي ذكرناها فقط كنماذج، وهناك مساجد أخرى لا تقل أهمية عن سابقيها كمسجد سيدي الهدي ومسجد ميزومورطو، ومسجد علي خوجة، ومسجد سيدي رمضان ومسجد خضر باشا... وغيرها كثير.

---

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، مرجع سابق، ص ص 134-137.

[2] – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 529-530. وانظر كذلك: سعيدة مفتاح، مرجع سابق، ص 11.

[3] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، مرجع سابق، ص 69.

إن أغلب هذه المتكونة منها هذه المنشآت الدينية مثل السواري الرخامية والمنابر المرمرية والزليج المزخرف مستجلب من الخارج وكذلك بالنسبة لليد العاملة، لكن ذلك لا يمنع من حسن ذوق أصحابها واهتمامهم بالنقوش والزخرفة ذات الطابعي المغاربي[1]، أما عن دورها:

- ملتقى العباد ومجمع الأعيان.
- منشط الحياة العلمية والاجتماعية.
- روح الحي في المدينة إذ حوله تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب.[2]

كما تحدث فيلهلم شيمبر عن المساجد في مدينة الجزائر وما تعرضت له من تخريب وهدم وتحريفها عن الغرض الذي أنشأت لأجله قائلا: " إن أروع في الجزائر قد هدم لتقام مكانه ساحة للاجتماعات كما أصبح كثير من المساجد مخازن للتبن، وتحول البعض الآخر غلى بنايات عسكرية، وقدم بعض السادة لمزاولة العزف على الكمان...".[3]

حظي الجامع الأعظم برعاية واهتمام من طرف جل الولاة العثمانيين وقد غطى نشاطه التعليمي والديني والاجتماعي على أنشطة الجوامع الأخرى بما فيها الجوامع التي شيدها العثمانيون أنفسهم، ويكاد يكون هو ومدرسة شيكلان نواة الجامعة الجزائرية على الرغم من عدم وجودها خلال هذه الفترة حيث بلغ عدد المدرسين بها 19 أستاذ خلال القرن 18م ووصلت حلقات الدروس بها إلى 12 حلقة، كما تعقد حلقات الدروس بمختلف مساجد مدينة الجزائر المالكية والحنفية.[4]

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 534.

[2] – خوش صبيحة، المرجع السابق، ص 137.

[3] – أبو العيد دودو، الجزائر في كتابات الرحالة الألمان، المرجع السابق، ص 20.

[4] – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص ص 19–20.

ذكر ابن المفتي في تقييداته أن الجزائر كانت في أيام العرب علما أنها مالكية المذهب، ولما دخل الترك بدأ ظهور علماء الحنفية الذين وصلوا إلى الإمامة والخطابة وخطة الفتوى وبذلك كان مفتو مدينة الجزائر من الحنفية والمالكية.[1]

وذكر مفتو الحنفية والمالكية بمدينة الجزائر وقال " إن خطة الفتوى بالجزائر قديمة لأنها دار علم وصلاح، وكان العلماء الذين يوثق بهم يستفتون فيجيبون".[2]

ومن أهم علماء مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أبو عثمان سعيد قدور الذي أخذ العلم عن علماء الجزائر وتلمسان وتولى الفتوة على المذهب المالكي والتدريس في الجامع الكبير سنة 1028هـ/1618م[3]، ثم أصبح خطيبا بذات الجامع إضافة غلى كونه وكيل أوقافه وتخرج على يده عدد كبير من العلماء منهم ابن محمد قدورة والشيخ عيسى الثعالبي والشيخ يحيى الشاوي، كما لازمه الشيخ أبو حفص عمر المنجلاتي مدة طويلة اخذ فيها عليه عدة علوم منها الحديث والفقه والنحو. الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري. وتوفي الشيخ أبو عثمان سعيد قدورة سنة 1066 هـ/1655م وقد ترك مؤلفات منها تعليق على شرح العلامة الشيخ الخطاب، حاشية على الصغرى في علم الكلام، حاشية على الخزرجية في العروض، وشرح على الأجرومية[4]، دفن بزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري.[5]

ومن الذين درسوا على الشيخ أبي عثمان سعيد قدورة الشيخ أبو زكرياء يحيى الشاوي لقبا لا نسبا ابن الفقيه الشيخ محمد ابن عبد الله بن عيسى النائلي المليانى، ولد يحيى الشاوي بمدينة الجزائر 1041هـ/ 1631م، فأخذ عن والده وعن أبي عثمان سعيد قدورة وعن

---

[1] – حسين ابن رجب (ابن المفتي)، المصدر السابق، ص 86.

[2] – حسين ابن رجب (ابن المفتي)، نفس المصدر، ص 93. للمزيد من الاطلاع، انظر: نفس المؤلف، عن مفتو الحنفية، ص 86–92. وعن مفتو المالكية ص ص 92–113. وانظر كذلك: الحنفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، المصدر السابق، ص ص 326–328. وانظر كذلك: علي تابليت، تاريخ مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 131–135.

[3] – عمورة عمار، المرجع السابق، ص 313.

[4] – لزغم فوزية، الإجازة العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518–1830، دون طبعة، المكتبة الجزائية للدراسات التاريخية، مخبر مخطوطات شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2009، ص 82، انظر كذلك: علي تابليت، المرجع السابق، ص 132.

[5] – ابن المفتي، المصدر السابق، ص 98.

إبراهيم العبريني وأبي الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري وغيرهم على غرار أبي مهدي عيسى الثعالبي الذي سافر معه ثمانية مراحل لإتمام تحقيق بعض المسائل من العلم ثم عاد متصدرا للدرس فكان آية في الحفظ، متمكنا من علوم التفسير والفقه والأصول والمنطق واللغة. اشتهر بالحفظ وحدة الذهن وجودة الأفكار، وفي طريقة للحج عقد بمصر مجالس بحضور علمائها وأعيانها.

فأخذوا عنه وروى عنهم وأجازوه وتصدر للتدريس في الأزهر، كما عقد بالمجلس الأموي مجلسا عاما حضره علمائها وأعيانها و شهدوا لفضله، ثم سافر إلى تركيا وحضي بعناية الصدر الأعظم مصطفى باشا وأكرم شيخ الإسلام بها يحيى المنقاري وعقد مجالس علمية بمحضر السلطان وأظهر تفوقا ثم عاد لمصر وتولى التدريس بها في عدة مدارس كما تولى قضاء المالكية بها وإمارة ركب حج المغاربة مرتين ثم عاد إلى تركيا وانزله مصطفى باشا بداره، فوفد عليه الأدباء والطلاب فأقرأهم وأجاز منهم عدد كثير أمثال محمد بن الشاهد الكبير مفتي المالكية بالجزائر وأحمد ابن الحاج موسى الجزائري ثم عاد إلى مصر وفيها عكف على التأليف وكرس حياته للتعليم فتخرج على يديه الكثير، كما كان جماعا للكتب حيث ملك بمصر 1500 مجلدا. ترك من المؤلفات والشروح والحواشي الكثير منها، توفي مبحرا إلى الحج في 10ربيع الأول 1096هـ/9 فيفري 1685م ودفن بمكان يقال له رأس أبي محمد[1]. ثم نقله ولده الشيخ عيسى ودفنه بالقرافة الكبرى بمصر.

ومن علماء مدينة الجزائر الذين درسوا بالجامع الأعظم محمد بن سعيد قدورة وهو الإمام العلامة المفتي أبو عبد الله سيدي محمد ابن الإمام الأكبر أبي عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة ولد سنة 1034هـ /1634م. كان من أكابر الرجال زكي الأخلاق والأفعال، تولى الإفتاء بالجامع الأعظم 1104هـ/1704م.[2]

[1] – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 173-177.

[2] – علي تابليت، المرجع السابق، ص 134.

شيخ الفقه والحديث ووارث الشرف القديم والحديث، تفرع من شجرة علم انتهت إليه خطابها وفتواها، فإليه يهرع عند اشتباه النوازل[1]، توفي سنة 1107هـ/1695م.

ومن العلماء الذين نالوا الأساتذة من طرف علماء المغرب: أبي حفص عمر ابن محمد المنجلاتي الجزائري: "بقية السلف وبركة الخلف حمى الله به ذلك القطر من التلف". إذا حدث أو أملى فمل أبدع وما أحلى وإن استطرد حكاية لتنميق رواية كان ذلك أعذب على أنه دنا من أرذل العمر. وأنشده بقصيدة يوم ختم ابن زاكور لجمع الجوامع[2] على يديه في سنة 1094هـ/ 1682م قائلا:

بدر الجزائر صان الله بهجته عن أن يرى بخسوف البدر مستترا

إن الإمام أبا حفص الرضى عمرا أضحى يطرز ما حكى وما ابتكرا

وذكر في نص إجازة الشيخ عمر بالأديب ابن زاكور قائلا فأجزته بشرط أن يروي بما رويته له عن أشياخي سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري حيث أخذته عنه الحديث والفقه والنحو وشيء من التصوف كالحكم لبن عطا الله والتوبر في إسقاط التدبير وعن غيره الحساب والفرائض وشيء من علم الوقت، وعن غيره الخزرجية[3] بشرحها للشريف الغرناطي[4] وأخذ لامية ابن مالك في التصريف.[5]

محمد بن عبد المومن الحسني الجزائري: ذكره ابن زاكور فهو من علماء الجزائر الذين درس عليهم وأجازوه قائلا فيه أثم الله نوره وأدام سروره غرة مجد في حسن الجزائر ساطعه، رحل إلى المشرق مرارا وانتجع للمعارف أقطارا ومازال يخطب من عقائل المعاني

---

[1] – الحنفاوي، المصدر السابق، ج2، ص 221.

[2] – جمع الجوامع في أصول الفقه من تأليف عبد الوهاب بن عبد الكافي، تاريخ 771هـ، انظر: ابن زاكور، نفس المصدر، ص 42.

[3] – قصيدة في علم العروض الرامزة من نظم عبد الله بن محمد ضياء الدين أبي محمد الخزرجي، تاريخ 626هـ، انظر: ابن زاكور، نفس المصدر، ص 48.

[4] – الشريف الغرناطي، تاريخ 760هـ، انظر: ابن زاكور، نفس المصدر، ص48.

[5] – ابن زاكور، المصدر السابق، ص ص 41-48.

كل خريدة... وتوغله في الأدب أولاه عالي الرتب ورفع إليه قصيدة يوم ختمه نظم أبي إسحاق التلمساني.[1]

لولا عبد المؤمن المرتضي قصي فؤادي من لظى لوعته

حجلته قصدي ونعم الذي يقصده الإنسان في غربته

العالم التحرير من دأبه أن ينقذ الملهوف من كربته

وفي نص إجازته ذكر العلماء الذين درس عليهم المجيز من مختلف الأقطار والعلوم التي درسها عليهم واشترط على ابن زاكور أن يروي عن أشياخ محمد بن عبد المومن الحسني الجزائري[2] وغيرهم كثير على غرار أحمد بن عمار...إلخ.

2-الزوايا:

احتلت الصدارة بين المراكز الثقافية وساهمت في تثقيف المعوزين والغرباء عن المدينة[3]، وقد عرفت انتشارا واسعا بين الأوساط الشعبية في المدن والأرياف وزعمائها من رجال الطرق الصوفية، حيث يعملون على جلب المرين لها حتى تزداد قدسيتهم بين الأهالي[4]، وقد كانت مقسمة إلى قسمين اثنين هما:

القسم الأول: تقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم وهي التي يؤمها الغرباء وسبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض السور القرآنية.

القسم الثاني: تقوم بتدريس بعض فنون الفقه وبعض المبادئ في علم الفلك والعقائد وقواعد النحو والصرف والبلاغة والمنطق، ويؤمها غالبا المتظهرون لكتاب الله.[5]

في حين نجد أبو القاسم سعد الله يتحدث عن الزوايا في الجزائر قائلا: "وما يميز العهد العثماني بالجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها ففي المدن

[1] – نظم أبي إسحاق في الفرائض ألفها إبراهيم ابن أبي بكر بن عبد الله، تاريخ، 690هـ، انظر كذلك: ابن زاكور، نفس المصدر، ص 50.

[2] – ابن زاكور، مصدر سابق، ص ص 49-64.

[3] – محمد ابن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص 58.

[4] – بخوش صبيحة، المرجع السابق، ص 139.

[5] – محمد ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 59.

والأرياف وفي الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادة، فاشتهر أحدهم لأنه قام بتأسيس مركز يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة، وكان الناس يتبرعون لهذا المركز فيكبر ويتضاعف قاصده ومريديه ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان ويعرف المكان بين الناس بزاوية سيدي فلان ويرث الأبناء والأحفاد مكانة وعمل سيدي فلان وتزداد قدسية الزاوية بين أهل الناحية وبين أهالي النواحي البعيدة.[1]

وقسم يحيى بوعزيز الزوايا إلى قسمين:

أ-الزاوية الخلوانية:

يدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة والقدرة على تلقينها للأتباع الذين يلقبونهم بـ "المريدين" أو "الإخوان" أو "الفقراء" ويفرضون أذكارا في أوقات معينة وفي أماكن معزولة ومظلمة وبعدها يخرجون إلى العامة ويتلونها يوميا وتدعى "الورد"، غالبا ما تكون بعد صلوات العصر والمغرب والصبح مما استوجب تسمية شيوخ زواياها الخلوانية بـ"الطرقيين" لأن لكل واحد منهم طريقة خاصة ذات تقاليد وأشكال وأذكار وعلى سبيل المثال " الحضرة لدى العلوية" وحلقة البندير والأمواس لدى العيساوية والعمارية.[2]

كما تقوم الزاوية بتعليم الاتباع من الطلبة والتلاميذ في تحفيظ القرآن الكريم وتعليمهم العلوم الدينية واللغوية خاصة الفقه والحديث والتوحيد. كما يقوم بهذه المهمة شيخ الزاوية غذا كان مثقفا وغن لم يكن كذلك يوظف من يقوم بها بدلا عنه ويحمل نواب شيخ الزاوية ألقابا منها المقدم والوكيل والنقيب والرقيب والخليفة.

ب-الزوايا غير الخلواتية:

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص ص 262-263.

[2] – يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص 16.

هي الزوايا التي لا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية، ولكن يتخذون لأتباعهم "وردا " خاصا من الأذكار يتلونها بعد الصلوات ويتصدرون لتعليم القرآن الكريم خاصة الأطفال وتلاوته وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية لأتباعهم ومن هنا يمكن اعتبار هذه الزوايا بمثابة كتاتيب قرآنية، والزوايا بنوعيها (الخلواتية وغير الخلواتية) وخاصة الخلواتية لها فروع كثيرة داخل البلد وخارجه كالتجانية وفي معظم بلدان القارة الإفريقية ومصر والحجاز وبعض بلدان أوربا والسنوسية والعلوية والرحمانية التي لها فروع في باريس واليمن والحجاز والشمال الإفريقي وأعماق الصحراء.[1]

ومن خلال ذلك، كانت الزوايا مركزا للعبادة وتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة وملجأ لعابري السبيل. أما عن دورها، فعملت على تحفيظ القرآن الكريم ونشر التعليم ومخازن الكتب والمخططات وساهمت في إزالة الفوارق الاجتماعية وتوطيد العلاقة بين فئات المجتمع.[2]

ومن أهم الزوايا بمدينة الجزائر:

أ-سيدي عبد الرحمان الثعالبي[3]:

كان بيت الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي يقع في شارع شارتر تحت رقم 54 ثم 60، بنيت الزاوية في سنة 1108هـ /1696م وتشمل المؤسسة مسجد بمئذنة وقبة كبيرة مزخرفة من الداخل وعدة غرف لاستعمال الوكيل وأعوانه وبيت للاجئين والهاربين ومقابر وقاعات للوضوء وعيون ماء[4]، كما تحتوي حجرة الضريح على ضريح سيدي عبد الرحمان وعلى قبر خيضر باشا وقبر الحاج أحمد باي قسنطينة.

ب-زاوية الجامع الكبير:

[1] – يحيى بوعزيز، نفس المرجع، ص 17.

[2] – بخوش صبيحة، المرجع السابق، ص 139.

[3] – عبد الرحمان الثعالبي: عالم جليل ينحدر من فرع الثعالبة التي حكمت متيجة إلى غاية ق 08هـ، ولد سنة 1387 وتوفي سنة 1471، سافر الشيخ نحو المشرق في بداية القرن 09هـ لأخذ العلم وأدى فريضة وترك أثارا علمية ومؤلفات. انظر علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 226. انظر كذلك: الحفناوي، مصدر سابق، ص ص 73-74.

[4] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، مصدر سابق، ص 151.

تقع على شارع باب الجزيرة وقابل المسجد الكبير، تأسست 1039هـ/1629م على يد المفتي المالكي سيدي السعيد بن الحاج إبراهيم بن قدورة (سبق ذكره في علماء مدينة الجزائر) من الفائض عن أموال أوقاف الجامع الكبير.

تتكون الزاوية من مسجد صغير دون مئذنة ومدرسة ومبنى سكني من طابقين للفقهاء المعوزين وميضأة وعيون ماء وغرف لإقامة خادمي الزاوية ولسكن الإمام والشغال وبلغت تكاليف الزاوية 15000 دينار جزائري. وحولت سلطات الاحتلال الزاوية سنة 1833م إلى حمام ثم هدمت.[1]

ج-زاوية الشرفاء:

أنشأها أبو عبد الله محمد بن بقطاش الدولاتلي داي الجزائر سنة 1121هـ نظرا لوجود عائلات كثيرة والتي تعتبر من الشرفاء كما تم تحرير عقد أحباس لها سنة 1201هـ/1612م من طرف مجموعة من الجزائريين التي لها أحباسها الخاصة ويشرف عليها نقيب منهم أحمد شريف الزهار وبإنشاء داي الجزائر لهذه الزاوية وضع لها شروطها والتي تتضمن استعمال وارداتها ومن له الحق فيها وصودرت ممتلكاتها 1841مع مقبرتها وهدمت لبناء مكاتب الإدارة والبلدية وتوسيع الشارع.[2]

د-زاوية الأندلسيين:

أسسها المهاجرون الأندلسيون المقيمون بالمدينة 1033هـ/ 1623م، أقيمت في مكان سابق لسكنات حيث ذكرت الوثائق أسماء الواقفين مكانها "مسيد الدالية" ووكيلها محمد الآبلي واستمرت لمدة قرنين دون تغيير، حيث قدمت العون لفقراء الجالية الأندلسية وأهملت سنة 1843م وسويت من قبل السلطات الفرنسية، كما أخذت رقم 21 في شارع سوق السمن.[3]

من خلال المساجد والزوايا يتضح بان المؤسسات الدينية قامت بوظائف دينية للصلاة والعبادة واجتماعية لحل الخلافات بين الأفراد والعائلات وإيواء عابري السبيل وثقافية من

[1] – مصطفى بن حموش، نفس المرجع، ص 53.

[2] –مصطفى بن حموش، نفس المرجع، ص 68.

[3] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها، المرجع السابق، ص 76.

خلال تعليم القرآن والعلوم الدينية وعلوم ذلك العصر، فلولا هذه المؤسسات الدينية لساد الجهل. وضمت إليها علماء وأدباء ومعاهد علمية كما أتقنوا وحفظوا كتبا ومصادر قيّمة.

المطلب الثاني: المدارس والتعليم

1-المدارس:

ذكر الدكتور فاتح بلعمري في تأليفه على لسان ابن منظور بأن المدرسة من الفعل درس الشيء والرسم يدرس دروسا...يقولون أنك درست أي تعلمت ودرست الكتاب أدرسه درسا أي ذللته بكثرة القراءة والمدارس الموضع الذي يدرس فيه.[1]

وأن المدرسة هي مؤسسة لتعليم الصرف تجمع بين التعليم الابتدائي والثانوي، وتعدد تخصصاتها في غالب الأحيان فتجمع بين العلوم العربية وعلوم الشريعة وبعض العلوم العقلية، وقد ظهرت المدارس بالمغرب العربي ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي على يد المرينيين والزيانيين من خلال تمسكها بالسنة الجامعة بين مذهب مالك في الفقه والعقيدة الأشعرية في التوحيد، لذلك نبه رجال السياسة لأهمية التعليم المنظم حماية لهذه العقيدة الرسمية.[2]

عرفت المدارس انتشارا واسعا خاصة منها الابتدائية عبر مختلف المدن والأحياء ولعبت في المدينة نفس دور الزاوية في الريف، إذ كانت تزود الدولة بما تحتاجه من موظفين أما عن عددها في مدينة الجزائر فقد تضاربت الآراء حول عددها فقد ذكر أنها تضم 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ.[3]

إن انتشار التعليم في الجزائر وكثرة المدارس الابتدائية جعل الأجانب ينبهرون لندرة الأمية، كما كانت الأوقاف والصدقات تلعب دورا في انتشار التعليم والمدارس[4]، وقد ذكر ذلك أحمد توفيق المدني قائلا: " كان الجزائريون يتبارون أتراكا وعربانا في أعمال الخير

---

[1] – فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص 204.

[2] – بلبراوات بن عتو، المدينة والريف، مرجع سابق، ص 191.

[3] – بخوش صبيحة، المرجع السابق، ص 140.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 274.

ووقف الأوقاف على المساجد والمدارس والمنشآت العامة وكانت دور العلم عامرة وحلقات الدروس غاصة بالطلاب في كل مساجد المدن الكبرى، أما التعليم الابتدائي فكان يلقن في ثلاثة آلاف كتاب".[1]

وما يؤكد على كثرة المدارس وتضارب الآراء حول عددها قول موريتس فاغنر: "أنها كانت توجد مائة مدرسة بمدينة الجزائر قبل دخول الاحتلال الفرنسي ولم يبقى منها إلا المنصرف"[2]، كما تحدث عن المواد المدرسة وعن علاقة الثقة بين الأستاذ وطلابه حتى بعد نهاية الطالب للدراسة، أما فيلهلم شيمبر فيقول: "لقد بحثت عن عربي واحد يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه ومن الإنصاف أن الجزائريين يتكلمون الفرنسية بطلاقة"[3]، وإن نسبة الأمية في فرنسا كانت أكبر منها في الجزائر مما يدحض الحجج الواهية التي تقول أن فرنسا جاءت للجزائر من أجل نشر رسالة تمدينية.

كما ذكرت المصادر العربية نوعية التعليم وقيمته في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال رحلة الجامعي وهو يصف حالة التعليم قائلا: "مدينة الجزائر دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل تنبت العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل، كما أنها لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء مساجدهم بالتدريس معمورة ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة وقد ذكرت ما فيه غنيمة من علمائها الأخيار وكلهم متحلون بأحسن الصفات متضلعون بعلم النحو والفقه والنحو والحديث. وقال أيضا فيها: "نحو مائة ألف مكتب ملأ بالأولاد حيث أن المحل الذي لا يتسع للتلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون إليها بالدرج، يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم وحفاظه كانوا كثيرين".[4]

---

[1] – أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دون طبعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ، ص 73

[2] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، المرجع السابق، ص 82.

[3] – أبو العيد دودو، نفس المرجع، ص 13.

[4] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 202–204.

ومن خلال ذلك يتضح أن هناك تعليم خاص بالكبار ويكون غالبا في المساجد أو المدارس، وتعليما خاصا بالأولاد ويكون بالكتاب.

2-التعليم:

فهو تعليم عربي إسلامي يقوم على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقليل من الدراسات العلمية[1]، ويعلل أبو القاسم سعد الله (في بعض الممارسات العقلية في عصر التخلف) ذلك بقوله: "حاول بعض المثقفين أن يمزجوا بين ثقافات العصر وثقافة الأوائل من علماء المسلمين ، فكانوا يقلدونهم في السير على خطاهم دون وعي أو إضافة أو تطبيق كما أنهم لم يقلدوا المتقدمين بل المتأخرين، ليس الأصل بل الفرع... فالذي شاع في هذا العهد هو علوم الدين والتصوف، أما العلوم العقلية فكانت ثانوية تكاد تكون تعبدية أو تساعد على فهم العلوم الأولى، لذا كان الحساب يدرس لفهم العمليات الفرضية والطب يدرس لفهم الأحاديث النبوية الدالة على علم الأبدان وعلم الفلك لتحديد أوقات الصلاة ، أما الصيدلة فللفضول الإنساني.[2]

وينقسم التعليم إلى قسمين رئيسيين:

[1] – بخوش صبيحة، مرجع سابق، ص 143.

[2] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 187.

أ-التعليم الابتدائي:

كان منتشرا كثيرا، تتولاه المدارس القرآنية (الكتاتيب)، فمدينة الجزائر كان بها 100 مدرسة ابتدائية[1]، وقد أحصت سلطات الاحتلال بمدينة الجزائر 80 مدرسة ابتدائية و12 مدرسة عليا علاوة على ما كان للبنات من مدارس خاصة.[2]

كما ذكر الرحالة الألماني مالتسان عن التعليم في الجزائر قائلا: "إن القاعدة العامة الجاري بها العمل في الأوساط الجزائرية التي تحترم نفسها أن جميع الأسر الكريمة التي تصر على أن يصل كل طفل إلى درجة طالب علم على الأقل".[3]

وذكر وليام شالر أن مدينة الجزائر تملك كثيرا من المدارس العادية التي يتردد عليها الأطفال ابتداء من سن الخامسة أو السادسة حيث يتعلمون القراءة والكتابة وتتم من خلال لوحات يمكن الكتابة عليها ومحو ما كتب بسهولة، حيث يكتب المعلم سورة من القرآن على لوحة أحد التلاميذ بخط واضح ثم يقوم بقية التلاميذ بنقلها بعناية كل على لوحته، وتحفظ السورة أو يعلم كتابة الحرف أو الكلمة بصوت مرتفع، حيث يجلس المعلم على سدة مرتفعة وفي يده عصا يستعين بها لحفظ النظام وإثارة انتباه التلاميذ الذين يجلسون على الحصير، وعندما ينتهي الجزائري من حفظ القرآن ويعرف القراءة والكتابة و يعرف كذلك الفرائض التي يعلمها المعلم كذلك. كما أن هذا النظام التربوي لا يكلف إلا قليلا من المال والبنات يتعلمن في مدارس من نفس النوع والتي تشرف عليها معلمات أو مؤدبات[4]. انظر الملحق رقم ....

أما فيلهلم شيمبر فيذكر أن الأطفال في سن السادسة يذهبون إلى المدرسة لتعلم القراءة والحساب والكتابة وحفظ القرآن، ثم يواصلون تعليمهم عند الفقهاء والعلماء ويسافر الكثير منهم إلى تونس والقاهرة لإتمام الدراسة.[5]

---

[1] – بخوش صبيحة، مرجع سابق، ص 143.

[2] – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 538.

[3] – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 541.

[4] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 82. أنظر كذلك: أ. ليسور – و.ويلد، المصدر السابق، اللوحة 24.

[5] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، المرجع السابق، ص 13.

كما ذكر مصطفى بن حموش العديد من المدارس بمدينة الجزائر ومن بينها:

- مدرسة مسيد الديوان: تقع على شارع سودان تحت ساباط في بناء قصر الجنينة، مداخيل أقباسها الضئيلة تقدر بـ 54 فرنكا.
- مدرسة ساحة جنينة: تقع قريبا من زاوية الشرفاء، وهي مدرسة صغيرة أسسها محمد خوجة بن مصطفى الدفتر دار بالقصر حسب عقد محرر 1121هـ/ 03 نوفمبر 1709م.
- مدرسة مسيد الغولة: تقع على شارع شارتر، ذكرت في وثائق تعود إلى 1163هـ/1749م تقع قرب ضريح سيدي على الفاسي وسميت بالغولة تخويفا لأبناء الأهالي.
- مدرسة حي القسارية: ذكرت في عقد يعود إلى 1089هـ/1678م، وذلك أن الحاج محمد الدولاتي داي الجزائر ابن محمود أشهد على حبس الحانوت ليصبح مدرسة لتعليم الصبيان القرآن، وهدمت مع بداية الاحتلال ومكانها تحت الأروقة التي تحيط بباب السلطة.[1]

ب-التعليم الثانوي والعالي:

خلت الجزائر كلها من جامعة أو مؤسسات عليا مثل جامعة الأزهر والقرويين والزيتونة إلا أن جوامعها الكبيرة كانت تضاهي الجامعات الكبرى لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عيها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فدروس سعيد قدوره وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة كانت مضرب الأمثال في العمق والرقي.[2]

أما مدرسة التعليم الثانوي والعالي فهي التي " تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه" وهي المدرسة المتخصصة في التعليم.

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص ص 55-69.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 273.

ذكر أبو القاسم سعد الله فيما المدارس الثانوية قائلا:" وكان بالمدينة إلى جانب الجامع الكبير ثلاثة مدارس وصفت بأنها تؤدي تعليما من المستوى العالي وهي مدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد والمدرسة القشاشية[1]، هذه الأخيرة لها أستاذا مكلفا بتدريس الشريعة الإسلامية والتوحيد بالإضافة إلى عشرة أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى واستمرت في نشاطها التعليمي إلى غاية 1831م بتحويلها إلى مخازن للجيش.

أما مدرستي الأندلسيين وشيخ البلاد فأصلهما زاويتين حيث جعل الأندلسيين من الزاوية مدرسة لتعليم علوم القرآن ودراسة مختلف العلوم الأخرى وكان الوقف يغطي حاجة المدرسة ويشرف على الوقف لجنة من أغنيائهم ويتوقع أن التعليم فيها كان على مستوى راق لأنهم عرفوا بإجادتهم فن التدريس وحسن التربية.

أما مدرسة شيخ البلاد: مؤسسها الحاج محمد خوجة أحد كتاب قصر الباشا في أواخر القرن 12هـ/18م وكان يملك كثيرا من العقارات فقرر وقفها على بناء مدرسة عليا تحتوي على خمسة غرف لسكن الطلبة ورجال العلم وعلى مسجد للصلوات ومطهرة للطلبة وعلى بئر للشرب ونصف الوقفية تأتي على تخصيص مبالغ مالية لأستاذ المدرسة والطلبة المقيمين واشترط في الأستاذ أن يكون ماهرا في العلوم العقلية والنقلية والأدب والمنطق.

مدرسة الجامع الكبير: أنشأها سعيد بن إبراهيم قدورة من فائض أوقات الجامع الكبير على الرغم من النفقات الكبيرة التي يحتاجها الجامع من خلال الإنفاق على موظفيه 19 أستاذ، ثلاث مؤذنين، الحزابين الكناسين، الشعالين، الفراشين وكذا صيانة المسجد، إلا أن فائضه أنشأ به مدرسة وزاوية لسكنات الطلبة وعزباء العلماء. حيث كلف 15 ألف دينار.

[1] – المدرسة القشاشية: نسبة إلى جامع القشاش ويرجع بأنه يعود إلى ما قبل الوجود العثماني بالجزائر كما لا نملك معلومات عن نشأة المدرسة أم لا. ويبدو أنها أحدثت بعد الجامع ذلك أن أوقاف الجامع وأوقاف ليست واحدة. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 281–282.

يلقى بها 19 أستاذ الدروس وعددا من المساعدين دون الأساتذة القارئين لصحيح البخاري. حيث بلغت حلقات علم بها إلى اثني عشرة حلقة علم.[1]

من خلال المدارس والتعليم يتضح ما يلي:

- انتشار المدارس عبر مختلف الأحياء في المدينة خاصة منها الابتدائية في شكل كتاب ومدارس قرآنية، بالإضافة إلى المدارس الثانوية.
- يشرف على هذه المدارس أساتذة ومعلمون في مختلف العلوم الدينية والأدبية.
- أوقف عليها الأغنياء الأموال على هذه المؤسسات وتصرف كرواتب على المعلمين والطلبة بالإضافة إلى صدقات المحسنين.
- حتى وإن كان التعليم تقليديا إلا أنه ساهم في القضاء على الأمية والجهل في المجتمع الجزائري.
- الاستفادة من التعليم كانت من مختلف الأعمار الصغار في المدارس والكتاب والكبار في المساجد والجوامع من خلال الخطب والوعظ وحلقات العلم.
- انتشار بعض الخرافات الاجتماعية الناتجة عن الزوايا ومن خلال شيوخ الطرق الصوفية والاعتقادات الخاطئة والتبرك بالأضرحة...الخ.

المطلب الثالث: المكتبات والأضرحة

المكتبات والأضرحة من بين المؤسسات الثقافية عرفتهما الجزائر خلال العهد العثماني وكان لهما علاقة متينة بالجانب الثقافي بحيث ترتبط المكتبات بالمؤسسات الثقافية التعليمية والتي نجدها في المساجد والزوايا والمدارس وتعمل على تغذية الروح من خلال المطالعة في الكتب والمخطوطات.

كما تتصل الأضرحة بالزوايا والمساجد وتقوم على زيارة الأولياء والصالحين المدفونين في أضرحة تزار للتبرك وطلب الشفاء...الخ.

[1] – أبو القاسم عبد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 281–283. انظر كذلك: فوزية لزغم، الإجازات العلمية، المرجع السابق، ص ص 80–81.

1-المكتبات:

كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان الكثيرة طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات حيث تنتج محليا عن طريق التأليف أو النسخ أو تجلب من الخارج (الأندلس، مصر، إسطنبول، الحجاز) حيث كانت موجودة بكثرة قبل الوجود العثماني وزادت الكتب بعد هجرة الأندلسيين إليها، وكان للعلماء الفضل الكبير في جلب الكتب المتنوعة من أماكن بعيدة ويضيف أن كل من القضاة ورجال الطرق الصوفية العثمانيين عند مجيئهم إلى الجزائر اصطحبوا معهم مكتباتهم وأوراقهم ووثائقهم وخاصة كتب الفقه الحنفي ونسخ من صحيح البخاري وكتب الأدعية والأذكار الصوفية.[1]

وما يؤكد وفرة الكتب بمدينة الجزائر ما يذكره الرحالة علي بن محمد التمكروتي قائلا: "والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا وتوجد بها كتب الأندلس كثيرا "[2]، كما يذكر حسن الوزان إحدى طرق شراء الكتب وذلك خلال سفرة من فاس إلى ونزوله ضيفا عند السفير:" الذي بعث به إلى إسبانيا وعاد حاملا معه زهاء ثلاثة آلاف مخطوط عربي اشتراها من شاطبة إحدى مدن مملكة بلنسية"[3]، كما ذكر عبد الرحمان الجيلالي عند حديثه عن المكتبات: "وكانت مكتبات المعاهد عامرة بنفائس المخطوطات منها مكتبة الجامع الكبير التي تجاوزت 40000 مجلد ومكتبة جامع كتشاوة ومكتبة الشيخ سيدي السعيد قدورة ومكتبة المفتي المالكي الشيخ علي ابن الأمين ومكتبة الشيخ حميدة العمالي...وغيرها.[4]

في حين يرى عبد القادر حليمي أن هناك مكتبات خاصة وأخرى عامة وأخرى محبسة بحيث تزدحم بها الكتب المخطوطة ومنها المكتبة العظيمة للجامع الكبير ففي القرن

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 286-288.

[2] – علي بن محمد التمكروتي، المصدر السابق، ص 129.

[3] – الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 39.

[4] – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 538. انظر كذلك: محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص24.

18م، نقلت السفن المسيحية صور المدينة وأصابت جزء من الجامع فأمر مفتي الجامع بنقل الكتب إلى برج مولاي حسن وخصص له جملان ظلا يحملان الكتب مدة 03 أيام.[1]

أنواع المكتبات:

أ- المكتبات العامة: هي مكتبات وقفا على المساجد والمدارس والزوايا. تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون والعلوم. يلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة.

ب- المكتبات الخاصة: بالعائلات العلمية وأعيان المدن الذين لديهم غيرة على الكتب ونسخها.[2]

ليس هناك اختلاف في المكتبات بين مكتبات المدينة ومكتبات الريف والمناطق البعيدة، حيث تلمس حب الفرد في المطالعة والمثاقفة وشراء الكتب خاصة في رحلات الحج، وهو ما رواه الجبرتي أن أحد الحجاج الجزائريين رغب في شراء نسخة وحيدة كانت بيد الجبرتي بمصر في طريق الذهاب، لكن في الطريق اشترى هذا الحاج العديد من الكتب من الحجاز وبأثمان زهيدة.

وتعرض المكتبات الجزائرية للتلف من خلال الكتب والمخطوطات مع بداية العهد الاستعماري من تلف وحرق، وبعد إدراك الفرنسيين لأهميتها بجمعها وإرسالها إلى فرنسا، والتي تعتبر كوثائق أرشيفية تساهم في إعادة كتابة تاريخ الجزائر وبأقلام نزيهة.

2-الأضرحة:

ذكر فاتح بلعمري عن ابن منظور بأن المقبرة هي من الفعل قبر.

القبر: هو مدفن الإنسان وجمعه قبور، والمقبرة: موضع القبور.[3]

---

[1] - علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 272-274.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 326. انظر كذلك: محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 61.

[3] - فاتح بلعمري، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 229.

تقع مقبرة مدينة الجزائر عند باب الوادي، فإنه قريب من هذا الباب توجد مقبرة لدفن الأتراك والجزائريين وفيها تقع قبور الدايات وهي في موقع مرتفع ويلاحظها الزائر والمسافر من جهة البحر باتجاه سيدي فرج كما توجد هناك مقبرة المسيحيين القريبة من ساحل البحر، أما عن مقابر اليهود فقد اشترى أجدادهم أراضيهم.

كما أشار علي بن محمد التمكروتي في رحلة زيارته إلى أضرحة الأولياء الصالحين بمدينة الجزائر وتبرك بهم منهم أبي زيد سيدي عبد الرحمان الثعالبي وقبر الولي الصالح أبو النور وقبر الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد ابن عبد الله الجزيري وقال بأن القبور خارج باب الواد.[1]

لكن ما معنى الولي؟ قيل يحتمل معناه أمرين أحجهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم، فيكون معناه من توالت طاعته من غير فخر معصية.

والأمر الثاني أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل وهو الذي يتولى سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة فلا يخلق له الخذلان وهو قدرة العصيان، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.[2]

وكما قيل الولي في اللغة: القريب، والولاية ضد العداوة، وأصلها المحبة والتقرب.

والمراد بأولياء الله أن يؤمنوا بما يجب الإيمان به ويتقون بما يجب عليهم اتقائه من المعاصي.[3]

وبذلك يفوز بالقرب من الله بطاعته واجتناب معصيته، وهم فئة قليلة من المؤمنين.

كما أن الولي مجاب الدعوة، راضيا عن الله، زاهدا ولا يشغل نفسه بفلان ولا بملان، حسن الأخلاق، كريم الصحبة عظيم الحلم، كثير الاحتمال.[4]

---

[1] – علي ابن محمد التمكروتي، المصدر السابق، ص 90.

[2] – سورة الأعراف، الآية 126.

[3] – محمد العبد وطارق عبد الحليم، الصوفية نشأتها وتطورها، دون طبعة، دار الأرقم، الكويت، دون تاريخ، ص 63.

[4] – الحليم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999، ص ص 101–102.

كما ذكر حمدان خوجة أن معنى المرابط: أي التعهد والالتزام بأن لا يتصرف إلا بما فيه خير للإنسانية، ويحظون بالاحترام والتوقير في حياتهم وبعد موتهم، بحيث يدفن في قبر ويحاط بتابوت.

وهي كثيرة بالجزائر ويدعى بسيدي فلان.[1]

وينقل فاتح بلعمري عن بايسونال حديثه عن القبور (الأضرحة): " فهي مرتفعة بنحو قدم عن الأرض، منها ما هي لأشخاص كانوا ذو مكانة واعتبار وعليها قبب مبيضة".[2] وتتخذ مزارات وأماكن للعبادة، كما يكون الجناة في مأمن عند الاحتماء بالأضرحة[3]، ويؤكد ذلك حمدان خوجة بأن أعيان المدينة نصحوا الباشا بأن يمنح المرابطين ثقة مطلقة لأن السكان لن يترددوا في قتل من يحتقر المرابطين أحياء وأمواتا، وبهذا صارت أماكن سكناهم وأضرحتهم مقدسة، ومن لجأ إليها فارا من سلطة القانون لا يمسه.[4]

ومن أهم الأضرحة بمدينة الجزائر:

أ-ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي:

حيث دفن خارج باب الواد في مكان مرتفع وجعلوا على قبره قبة صغيرة وبعد ذلك رفعوا البناء وزادوا فيه، وبنى حاكم الجزائر الحاج أحمد بلحاج المصلى سنة 1108هـ/1096م الزاوية فوق باب الضريح، وإلى جانب ضريح عبد الرحمان الثعالبي قبور لعر باشا ومصطفى باشا والحاج علي ابن الحفاف وفي الخارج قبور أخرى كثيرة...وفي حضيرة لها باب مغلق قبر أحمد باي قسنطينة المتوفي بالجزائر 1850م.[5]

---

[1] – حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 19.

[2] – فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص 232.

[3] – ج.أوهابنسترايت، المصدر السابق، ص 38.

[4] – حمدان خوجة، المصدر السابق، ص ص 72-73.

[5] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 171-172.

ب-ضريح سيدي عبد القادر:

نسبة للولي الصالح عبد القادر الجيلاني، نسبة إلى مدينة جيلان بفاس، ولد سنة 471هـ/1078م وتوفي ببغداد 561هـ/1168م عن عمر ناهز 90سنة، نصب له ضريح عام 1223هـ/1806م على يد أحمد باشا، يقع على بعد 600متر من باب عزون على حافة الشاطئ ويزار لطلب الشفاء والخطوبة واتقاء المصائب، كما كان يوجد بئر قرب الضريح، هدمته سلطات الاحتلال سنة 1866م.[1]

ج-ضريح سيدي محمد بن عبد الرحمان:

ضريح وزاوية ومسجد يقع بالحامة على طريق الحديقة العامة، أسس مذهبا صوفيا أصبح مشهورا به في بلاد القبائل (الرحمانية)، عاش في مدينة الجزائر أيام الباشا بابا محمد، كما زار مصر وتوفي ببني إسماعيل من بلاد القبائل (قبيلة قشتولة) سرقت رفاته وأخذت للحامة وتم البناء سنة 1206هـ/1791م.[2]

ومن الأضرحة الأخرى:

- ضريح سيدي مبارك البحري، يقع على إحدى صخور الشاطئ بين المذبح وضريح عبد القادر الجيلاني.
- ضريح مقبرة سيدي مبارك، يقع في منطقة وادي الرمان بحي القادوس.
- ضريح مقبرة سيدي احمد الزواوي (الغريب)، يقع بأولاد شاوش بحي القادوس.
- ضريح مقبرة سيدي يوسف، يقع في بوزريعة.[3]

لقد كان اعتقاد الناس في بركة الأولياء ذات تأثير كبير عليهم في مختلف النواحي الاجتماعية، ولم يقتصر التأثير على فئة معينة بل كان على كل الفئات العالمة والجاهلة حيث أصبحت أضرحتهم مزارات لنيل البركة، وهو ما لمسناه في رحلة الورثلاني حيث لا يمر على منطقة دون التوقف على أضرحتها للتبرك وكذلك لدى علماء المغرب كعلي بن

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها، المرجع السابق، ص ص 158-159.

[2] – مصطفى بن حموش، المرجع نفسه، ص ص 166-167.

[3] – المرجع نفسه، ص ص 160-166.

محمد التمكروتي ويدعون بقولهم: "نفعنا الله ببركاته وبركة أمثاله"، كما جعلوا لها أوقافا ويستغيثون بالأولياء لطلب الشفاء والزواج والإنجاب[1]، وتختلف زيارات الأفراد إلى هذه الأضرحة باختلاف أهدافهم.

كما ذكرت عائشة غطاس: "احتماء الجزائر بالولي سيدي عبد الرحمان الثعالبي فهو السيف وسور حرمها حرمها" بل كانت في حماية الرجال السبعة مثلما تذكرها القصيدة الشعبية:

كيفاش الكفار يطمع في البهجة سلطانة المدن
من فيها رجال يدفعوا عنها كل بلا من الفتن
أولهم سيدي الثعالبي هو السيف وسور حرمها
في حمى البهجة مشرفة وبجاه مصطفانا
والرجال السبعة اتفقوا جاوا في غيظ شحان.[2]

كما كانت كل جماعة تحتمي بولي فحضر مدينة الجزائر تحتمي بسيدي عبد الرحمان الثعالبي وجماعة بني ميزاب بسيدي بنور والقبائل بسيدي عبد الرحمان والوصفان بسيدي بلال الحبشي، وتقوم الجماعات الحرفية بالاحتفال بأعياد أوليائها الصالحين سنويا.

كما أن طائفة الرياس لا يخرجون في غزواتهم إلا بعد زيارة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي والتبرك به وتتمركز كل السفن في اتجاه الضريح ولا تنطلق إلا بعد تحية الولي سيدي بتقة ويصطحبون معهم رايات بعض الأولياء حيث تنصب فوق سفنهم وقبل خروج السفن من ميناء الجزائر يحيون الداي بطلقة مدفع وطلقتين للولي الصالح سيدي بتقة وسيدي عبد الرحمان الثعالبي.

[1] – ياسين بودريعة، المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 40، ديسمبر 2013، جامعة البويرة، ص ص 369–372.

[2] – عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، المرجع السابق، ص ص 174 – 177.

خـــاتمة

خاتمة:

ساهم التنافس على السلطة بين أفراد الأسرة الزيانية على ضعف سلطتهم وخروج مختلف المناطق من تبعيتها لهم لاسيما مدينة الجزائر، مما جعل البلاد ككل فريسة سهلة أمام الغارات الإسبانية التي استولت عليها الواحدة تلوى الأخرى. مما اضطر أعيان مدينة الجزائر للاستنجاد بالإخوة بربروس. وبهذا صارت البلاد الجزائرية إيالة عثمانية وتم اتخاذهم لمدينة الجزائر مقرا للإيالة على اعتبار أنها محصنة طبيعيا وزيد في تحصينها مما جعلها تقهر النصارى على الرغم من محاولاتهم المتكررة طيلة الثلاثمائة سنة 1519-1830م.

من الناحية الاجتماعية، كان مجتمعها يأخذ تركيبا هرميا؛ في قمة الهرم نجد الطائفة التركية ومن بعدها جماعة الكراغلة، ثم طبقة الحضر بما فيهم من أندلسيين وأشراف، وفي أسفل الهرم نجد فئة البرانية ثم نجد فئة أهل الذمة من يهود ومسيحيين. وبذلك يتضح أن هناك تفاوتا بين الفئات؛ فالأتراك العثمانيين والكراغلة يشغلون وظائف إدارية وعسكرية وذات مجهودات قليلة وينالون امتيازات كثيرة، في حين أن باقي الفئات يبذلون مجهودات كبيرة بل حتى أنها مهن وضيعة للبرانية والأسرى ودون الحصول على امتيازات مما جعل البعض ينظر إليها على أنها ظاهرة الطبقية التي اختفت في العهود الإسلامية السابقة عادت للبلاد على العهد العثماني.

ما يؤكد على العلاقات الحسنة بين فئة الأتراك العثمانيين والجزائريين علاقات الزواج والمصاهرة التي ربطتهم بالأسر الجزائرية العريقة والتي نتجت عنها فئة جديدة هي فئة الكراغلة والتي بدأت منذ عهد خير الدين بيلرباي وبذلك تفند إدعاءات الأوربية أن الأتراك أسياد وينظرون للجزائريين على أنهم عبيد.

إن تنوع الفئات الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر أكسبها طابعا خاصا ومميزا حيث زاد في إثرائها حضاريا واقتصاديا وتجسد في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية الممارسة من طرف مختلف الفئات الاجتماعية سواء منها اليومية (كارتياد المقاهي لسماع الموسيقى

وتجاذب أطراف الحديث وكسب أخبار العائلات أو الذهاب للحمامات من أجل النظافة والتسلية خاصة للنساء وتزويج أبنائهم وبناتهم) أو الاحتفالات الاجتماعية (كالزواج والختان) والتي يعبر فيها المجتمع عن فرحه، أو الاحتفال بالمناسبات الدينية كصيام رمضان وسهر الليالي في المدينة حتى للعائلات وهي خاصة برمضان فقط، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف التي يعد فيها العلماء قصائدهم في المديح النبوي الشريف.

كان لفئة الأندلسيين الدور الكبير في نمو البلاد خاصة في الفترة الأولى بحيث ساهموا في عدة مجالات صناعية، تجارية، وثقافية منها البناء والموسيقى وغرس الأشجار والورود وإدخال الماء على المدينة عبر القنوات وتعليم الجزائريين الحرف وكذلك مختلف العلوم التي كانت مزدهرة بالأندلس كما ادخلوا معهم الكتب والمخطوطات...إلخ.

كانت هناك علاقات تأثير وتأثر في العادات والتقاليد بين المجتمع الجزائري والمجتمع العثماني في مدينة الجزائر خاصة في اللباس والأكل. حيث تأثر العثمانيون بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري، فلبس الأتراك البرنوس الجزائري. كما تأثر الجزائريون باللباس التركي الذي جلبه الأتراك لزوجاتهم الجزائريات وكذلك بالنسبة للأكل والحلويات (مثل البقلاوة ...).

لم تسعى مختلف الفئات الاجتماعية بمدينة الجزائر إلى فرض نفسها على السلطة الحاكمة من أجل السعي لإصلاح أوضاع البلاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خاصة تلك الفئات التي كانت على صلة بالفئة الحاكمة كالكراغلة والأندلسيين وإنما كان تركيز مختلف الفئات على كسب الامتيازات والمصالح الشخصية.

ساهمت ظروف قاهرة في عدم تطور اقتصاد الجزائر لضعف صناعتها بسبب سياسة حكامها المحتكرة للمواد الأولية والتي تفضل تصديرها إلى أوربا في شكلها الطبيعي دون تصنيعها في البلاد (كالصوف والجلود والشمع...) ورغبتهم في ملء جيوبهم وخزينة البلاد على حساب أصحاب الحرف.

أما عن التجارة الداخلية فقد جعلت لها شبكة من الطرق والمواصلات بين مختلف المدن والقرى لتبادل منتجاتها. إلا أن السياسة الضريبية للحكام العثمانيين كانت وراء ترك العديد منهم لمختلف الحرف. كما كان لليهود دور كبير في إضعاف التجارة الداخلية واحتكارهم للتجارة الخارجية والتي كانت مركزة بشكل أكبر مع مدينة ليفورن الإيطالية مرسيليا الفرنسية.

كان هناك تضامن كبير بين أفراد مجتمع مدينة الجزائر وتتجلى صور التضامن في إنشاء المؤسسات الدينية كالمساجد والمدارس والزوايا والمكتبات والتي كانت منتشرة في مختلف الأحياء والتي ساهمت بدور كبير في نشر العلم والمعرفة والقضاء على الأمية على الرغم من أنها تتبع طرق تقليدية كالكتاب والتي تتم فيها الدراسة عن طريق الألواح والدواة.

وما يميز علماء العصر أنهم يعتمدون على الحفظ كما تركوا مؤلفات عديدة خاصة الدينية منها في شكل حواشي وشروح.

الملاحق

الملحق رقم (01): المسجد الكبير في وضعه الحالي[1]

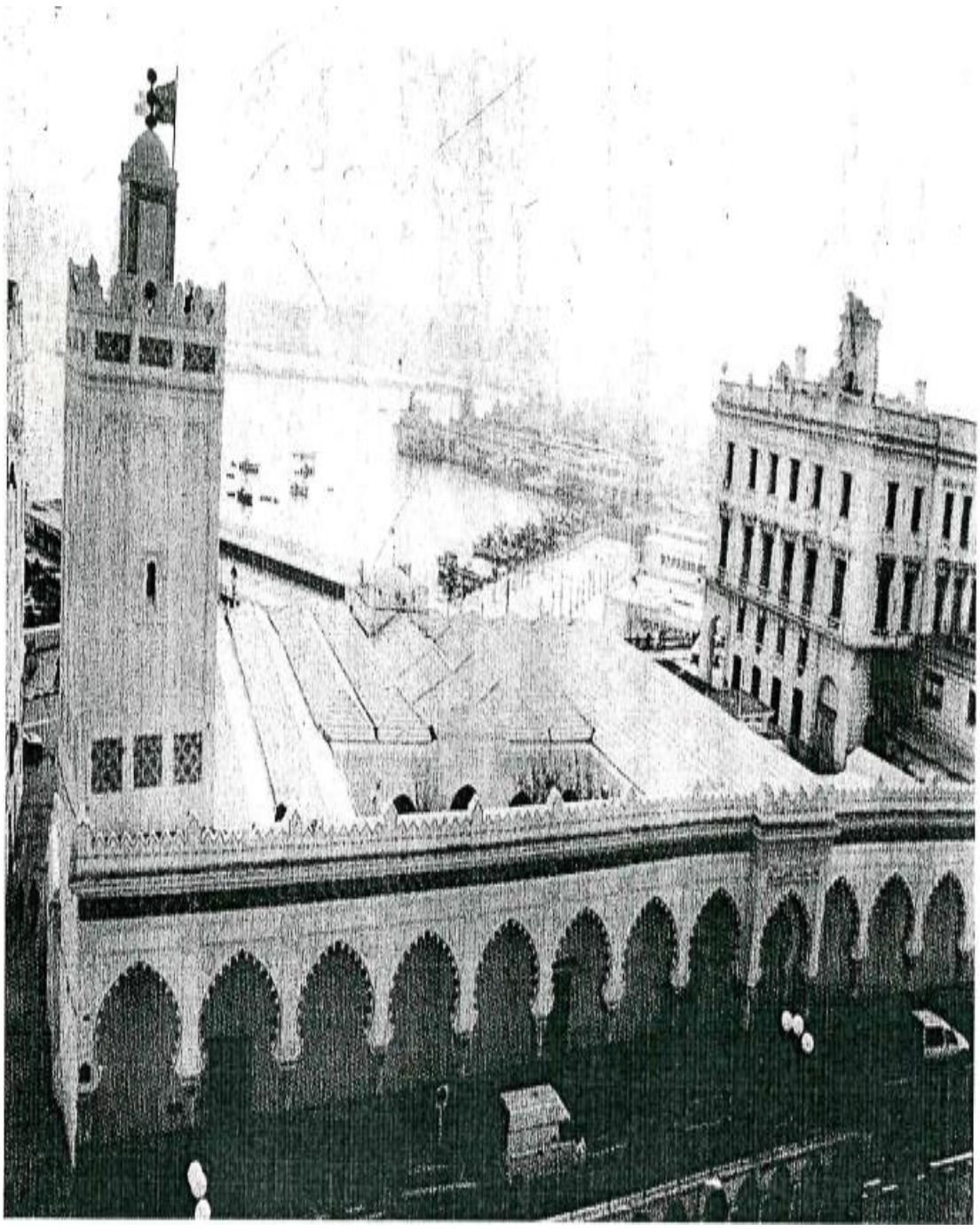

[1] – مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر...، مرجع سابق، ص52.

الملحق رقم (02): صورة توضح بعض الحلي التي كان يرتدينها النساء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني[1]

أختان من مدينة الجزائر.

خرسه.

مرآة

خلخال.

تميمة Amulette

1–خاتم كورارا
2–خاتم بلغاس
3–خاتم بالفنار.

امرأة من مدينة الجزائر.

[1] – علي تابليت، مرجع سابق، ص 222.

الملحق رقم (03): صورة تاجر مغربي[1]

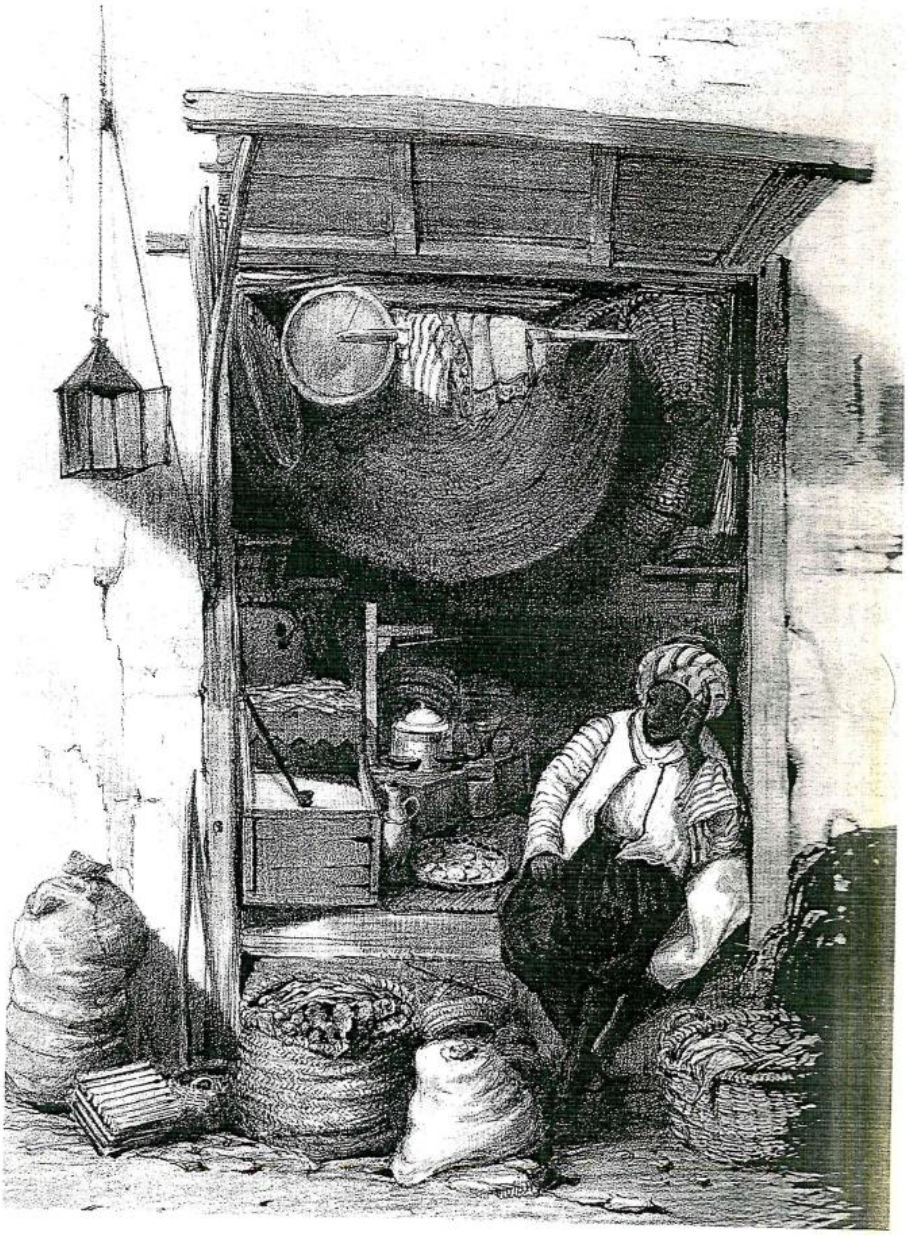

[1] – أ.ليسور.و.ويلد، مصدر سابق.

الملحق رقم (04): صورة لضريح[1]

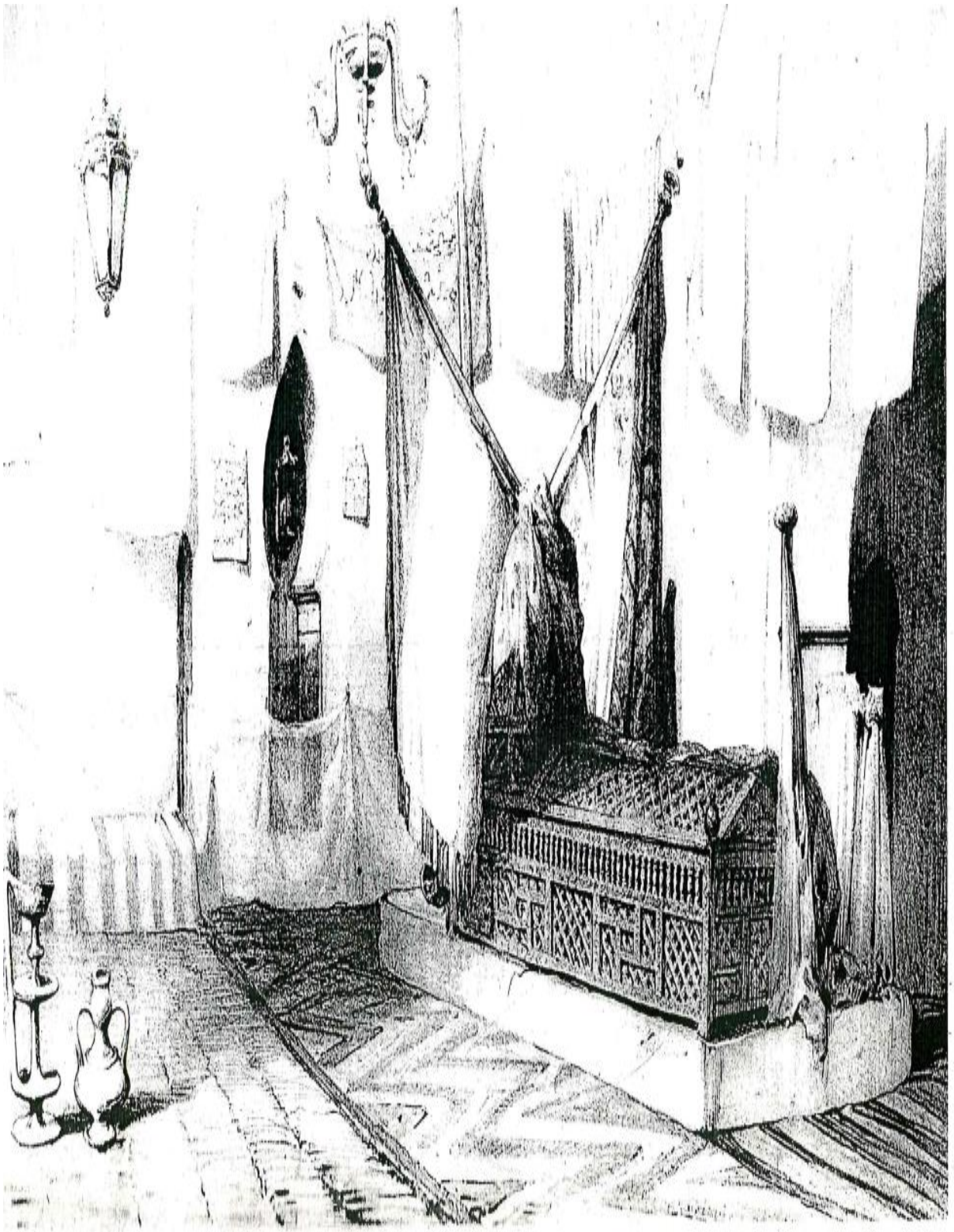

[1] – أ.ليسور.و.ويلد، مصدر سابق.

قـائمة

المصـادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
2. ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق: كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، دون طبعة، الدار التونسية للنشر، ج1، دون مكان نشر، 1976.
3. ابن الدين الحاج، رحلة الأغواطي، تأليف وتحقيق أبو القاسم سعد الله، دون طبعة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.
4. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة 2009
5. ابن تيمية، الصوفية والفقراء، دون طبعة، تقديم محمد جميل غازي، دار المدني، القاهرة، دون تاريخ.
6. ابن زاكور الفاسي، أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان من فضلاء وأكابر وأعيان، دون طبعة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
7. أبي الفداء عماد الدين، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
8. الأصطخري إبراهيم ابن محمد، المسالك والممالك.
9. أوهابنسترايت.ج، رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1730، دون طبعة، ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.
10. بن الخوجة محمد بن مصطفى، أعمال 1865-1915، نشر جامعة الجزائر، 2013.

11. بن بحمان إبراهيم اليزقني، رحلة المصعبي، تحقيق وتعليق يحيى بن بهون حاج امحمد.
12. بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط2، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
13. التمكروتي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، دون طبعة، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002.
14. تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، دون طبعة، ترجمة عميراوي أحميدة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003م.
15. تيدنا، مذكراته (الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني)، ترجمة عميراوي حميدة، دار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة، الجزائر، 2003.
16. جابر أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، دار الحديث، القاهرة، 2004.
17. الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، دون طبعة، ج1، تقديم: محمد رؤوف القاسمي، موفم للنشر، الجزائر، 1991.
18. الحموي ياقوت، معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت.
19. خوجة حمدان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005.
20. الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.
21. الزهار الحاج أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف: تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980.

22. شالر وليام، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتقديم وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

23. الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

24. الفيروزابادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دون طبعة، دار الحديث، القاهرة، 2008.

25. القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، دون طبعة، ج2، تحقيق عبد الكريم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

26. ليسورر .أ – ويلد .و، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، دون طبعة، تحقيق وتقديم و تعليق، محمد جيجلي، دار الأمة، الجزائر 2002، اللوحة 6.

27. المرادي، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010

28. المراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1985.

29. هايدو فرايديغو، تاريخ ملوك الجزائر، دون طبعة، ترجمة أبو لؤي عزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

30. الورثلاني الحسين بن محمد، الرحلة الورثلانية الموسمية بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد الأول، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ،2008.

31. الوزان حسن بن محمد، وصف إفريقيا، ج2، ط2. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي. بيروت ،1983.

ثانيا: المراجع

32. الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر.

33. أودال بول، صورة الجزائر أرضا وإنسانا لدى رحالة فرنسي 1899، ترجمة عمر بن قينة، دون طبعة، منشورات ثالة، دون جزء، الجزائر 2010.

34. أوزغلة محمد عبد الكريم، شهادات ومشاهد الكتابة ميغل دي سيرفانتس في الجزائر 1575-1580، دون طبعة، دار القصبة للنشر، الجزائر 2012.

35. إينالجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان 2002.

36. بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دون طبعة، القاهرة، 2000.

37. بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس، دون طبعة، دار الأمة الجزائر، 2010.

38. بن حموش مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830. سلسلة الدراسات الفقهية (5)، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، 2000.

39. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997.

40. بوداق مصطفى وآخرون، الجزائر في الوثائق العثمانية، ترجمة فاضل بيان ومحمد الصالح الشريف، رئاسة دائرة الأرشيف العثماني، رقم المنشور115، طباعة أوفسات، أنقرة، 2010.

41. بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.

42. بوعزيز يحيى، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

43. تابليت علي، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة الجزائر، 2010.

44. التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

45. جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ط2، ج2، تعريب محمد ممزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.

46. حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1972.

47. دحماني توفيق، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي والعسكري للجزائر، الدار العثمانية للنشر، دون طبعة، الجزائر، 2009.

48. دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

49. دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

50. الرضا هاني، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية تاريخها، قوانينها، وأصولها. ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2006.

51. سالم أحمد، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011.

52. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

53. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

54. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج1، ج2، ج4، ج6، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 .

55. سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

56. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1722 – 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب ط2، الجزائر، 1985.

57. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1988.

58. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ن دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.

59. سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

60. شنوف عيسى، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دون طبعة، دار المعرفة، الجزائر، 2008.

61. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 –1830، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009.

62. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، دون طبعة، السلسلة 3 (43)، الرياض، 2000.

63. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ط2. دار هومة، الجزائر، 2007.

64. عبد الغني قاسم عبد الحليم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999.

65. عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006

66. العبد محمد وطارق عبد الحليم الصوفية نشأتها وتطورها، دون طبعة، دار الأرقم، الكويت

67. العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547، ط1، دار النفائس بيروت، 1980.

68. عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009.

69. عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

70. قارة مبروك بن صالح، تاريخ مدن وقبائل الجزائر، المؤسسة الصحفية للنشر والتوزيع، ط2، المسيلة، 2012.

71. قنان جمال، نصوص ووثائق في تارخ الجزائر الحديث 1500-1830، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010.

72. لوسات فلنري، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790-1830، تعريب: جمادى الساحلي، سنراس للنشر، تونس، 1994.

73. مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ج1، القاهرة، 1993.

74. محمد العدواني، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1996.

75. محمد جمال الدين عبد الله، المسلمون المنصرون أو الموريسكيون الأندلسيون، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

76. محمدين محمد محمود، التراث الجغرافي الإسلامي، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، 1999.

77. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

78. المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، الجزائر، 1986.

79. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، دون طبعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

80. نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصيات الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط2، ج1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

81. هيلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

ثالثا: المجلات

82. بحري أحمد، مقال بعنوان " العادات الاجتماعية في جزائر الدايات، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

83. بخوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد2، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2008.

84. بعرة مريم رزاق، أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعاث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 3.

85. بلبراوات بن عتو، نظرات استشرافية لعادات وتقاليد مجتمع الجزائر العثمانية، مدينة الجزائر نموذجا، العدد 2.

86. بوبكر هشام وعياشي بلقاسم، جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، دراسة سوسيولوجية تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكونة للمجتمع الجزائري، مجلة آفاق للعلوم، العدد 07، جامعة الجلفة، مارس، 2017.

87. بودريعة ياسين، المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 40، جامعة البويرة، ديسمبر، 2013.

88. التميمي عبد الجليل، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، المجلة التاريخية المغاربية، جويلية، 1976.

89. تيتة ليلى، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014.

90. دودو أبو العيد، الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الثانية، العدد 08، الجزائر، ماي – جوان، 1972.

91. سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية من ق 16 – 19م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، عدد 31، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت، 2010.

92. سعيود إبراهيم، جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوربيين في الجزائر خلال العهد العثماني، مقاربة تاريخية.

93. سيار الجميل، طبيعة الحياة الاجتماعية في المشرق والمغرب العربيين خلال الفترات العثمانية، مجلة الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، عدد 1121، الشركة التونسية، مارس 1988.

94. غزالي عبد العالي ونقادي سيد أحمد، صورة الجزائر في مصادر الرحلة الغربية خلال العهد العثماني، اوهابنسترايت نموذجا. مجلة الحوار المتوسطي، دون دار نشر، المجلد التاسع، مكان نشر، العدد 1، مارس 2018.

95. غطاس عائشة، الوثائق المحلية وأهميتها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي مثال مدينة الجزائر، مجلة العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 123. الرباط 2005.

96. لبصير سعاد، الرحلة الحجازية في العهد العثماني 1518–1830. مصدر أساسي للكشف عن الحدث التاريخي الاجتماعي نموذجا، مجلة التراث، دراسة، جامعة الجلفة، 2018. 018: 3vol ،

97. لزغم فوزية، الأطباء الأوربيين بالجزائر خلال العهد العثماني 1519 – 1830، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15 و16، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012 – 2013.

98. المازري بديرة، حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن 18م، مجلة الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، دون طبعة، الشركة التونسية للطبع، عدد 1121، مارس 1988.

99. المدني أحمد توفيق، " تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530-1554" مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975.

100. المشهداني مؤيد محمود حمد، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518 – 1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 05، عدد 16، جامعة تكريت، 2013.

101. مفتاح سعيدة، استغلال المجال الجغرافي لمدينة الجزائر في العهد العثماني 1516-1830.

رابعا: الرسائل

102. بلعمري فاتح، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والتاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016-2017.

103. بن سعيدان محمد، العلاقات الجزائرية مع فرنسا 1659-1756، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي، غرداية، 2011-2012.

104. بن عتو بلبراوات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2007 -2008.

105. ثابت جميلة، دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوربا خلال القرنين 16 و17م، مذكرة ماجستير معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية سنة 2010.

106. حصام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتومس خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012 -2013.

107. حفيان رشيد، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 17 و 18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2013 – 2014.

108. حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ. جامعة منتوري بقسنطينة، 2006.

109. درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين 10هـ/16م-19م بين التأثير والتأثر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2015.

110. رحمونة بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564-1830، شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2010-2011.

111. شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2005-2006.

112. صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، مؤتمر 2011-2012.

113. عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17م وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، سنة 2011-2012.

114. عميراوي فهيمة، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، دراسة اجتماعية اقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

115. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون لمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية اقتصادية، دكتوراه في التاريخ الحديث وكلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2000-2001.

116. غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619-1694، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1984-1985.

117. لزغم فوزية، الإعجاز العلمي لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830، دون طبعة، المكتبة الجزائية للدراسات التاريخية، مخبر مخطوطات شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2009.

118. لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 1520-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.

119. مباركي نادية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان: الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين 16 و17م من خلال مرافقها الحضارية، جامعة الجزائر، 2005-2006.

120. محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات 1659-1671، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، سنة 2007 -2008.

121. محمة عائشة، الأسرى الأوربيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر والحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين 16 و17 م. مذكرة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، قسم التاريخ، 2011 -2012.

122. المضيان بن صالح ماجد، أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة مابين 1520-1924، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى بمكة، 1995.

123. مقصودة محمد، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2004.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة 01

الفصل الأول

مدينة الجزائر جغرافيا وتاريخيا

المبحث الأول: موقع مدينة الجزائر 06

1-مفهوم المدينة 06

2-مفهوم الجزائر 07

المبحث الثاني: نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر 09

المبحث الثالث: وصف مدينة الجزائر عاصمة إيالة الجزائر 18

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر

المبحث الأول: فئات مجتمع مدينة الجزائر 35

المطلب الأول: الفئة الخاصة 35

1-العثمانيين 35

2-الكراغلة 42

3-الحضريين 45

المطلب الثاني: فئة البرانية 51
المطلب الثالث: فئة أهل الذمة 55
1-اليهود 56
2-فئة المسيحيين 61
المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية 70
المطلب الأول: الاحتفال بالمناسبات الدينية 70
1-الاحتفال بشهر رمضان 72
2-الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى 74
المطلب الثاني: الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية 79
1-الاحتفال بمناسبة الزواج 79
2-الإحتفال بختان الأطفال 82
3-دفن الموتى المسلمين 83
المطلب الثالث: العادات اليومية 84
1-الغذاء والحلويات 85
2-اللباس 87
3-ارتياد المقاهي 90
4-ارتياد الحمامات 92

الفصل الثالث

مظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية

المبحث الأول: مظاهر الحياة الاقتصادية 97
المطلب الأول: الحرف والصناعة 97

المطلب الثاني: أهم الحرف بمدينة الجزائر 100
1-الحرف الإنتاجية 103
المطلب الثالث: التجارة الداخلية والخارجية 108
1-التجارة الداخلية 108
2-التجارة الخارجية 111
المبحث الثاني: الحياة الثقافية في مدينة الجزائر 119
المطلب الأول: المساجد والزوايا 121
1-المساجد 122
2-الزوايا 131
المطلب الثاني: المدارس والتعليم 135
1-المدارس 135
2-التعليم 137
المطلب الثالث: المكتبات والأضرحة 141
1-المكتبات 142
2-الأضرحة 143
خاتمة 149
الملاحق 153
قائمة المصادر والمراجع 158
فهرس المحتويات 173